الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة محمد البشير الإبراهيمي * برج بوعريريج *

كلية الآداب واللغات قسم اللغة والأدب العربي

محاضرات مقياس المدارس اللسانية

السنة الثانية ليسانس تخصص لسانيات عامة

نظام : ل .م .د

إعداد الدكتور : بوبكر الصديق صابري

الموسم الجامعي: 2021/2020

مقدمة

مقدمة:

شغل الدرس اللغوي الحديث اهتمام الدارسين، ولا سيما بعد محاضرات فرديناند دي سوسير، ولما كان مقياس اللسانيات العامة يحتكم إلى دروس جادة تحدد معالم هذا الدرس وخصائصه وما يفرقه عن غيره من المقاييس، كان من اللازم وجود مقياس يحتكم هو الآخر إلى دروس تحدد معالم المدارس التي ظهرت في هذا العلم الحديث وبذلك جاءت محاضرات المدارس اللسانية لتزيد تفاصيل المقياس الأول تشريحا وتوضيحا كهدف رئيس من وجود هذه المحاضرات لهذا المقياس.

وعليه نحاول من خلال هذه المحاضرات الإجابة على الإشكالية التالية:

ما هي أهم المدارس اللسانية التي تناولت اللغة بالدراسة؟ ما أصولها المعرفية؟ وماهي قواعدها؟ ومن هم أعلامها؟ وهل كان للمدارس الغربية تأثير على الفكر اللغوي العربي الحديث؟

للإجابة على هذه الإشكالية حاولت الإلمام بجميع المحاضرات المقررة وعددها أربعة عشر محاضرة، مع مجموعة من النصوص التطبيقية، معتمدا التأريخ لهذه النظريات منبعا وتطورا وتحديدا لخصائصها وأعلامها، متخذا من المعاجم والمراجع الأصول ولا سيما الغربية مصدرا للمعارف العلمية التي حاولت تبسيطها قدر الإمكان لتكون في متناول الطالب والباحث المبتدئ.

وأهم هذه المراجع استغلالا هي :

- أحمد حساني، مباحث في اللسانيات، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر: 1994.
- أحمد المتوكل، اللسانيات الوظيفية، مدخل نظري، ط2. لبنان : 2010، دار الكتاب الجديد المتحدة.

- أحمد مومن،اللّسانيات النّشأة والتّطور، دط. الجزائر:2002، ديوان المطبوعات الجامعية.
- أندري مارتيني، مبادئ في اللسانيات العامة، تر: أحمد الحمو، د ط. دمشق: 1985، المطبعة الجديدة .
- آن روبول و جاك موشلار ، التداولية اليوم ، تر/ سيف الدين دغفوس ومحمد الشيباني، ط1 .لبنان: 2003، دار الطليعة.
- Ferdinand de Saussure, Cours de linguistique générale,
édition critique préparé par: T. De Moro. Paris: 1979. Payot
- Edward Sapir, le langage, traduction de l'anglais par :
S. M. Guillaumin, Paris, ed, payot et Rivages 2001.
des sciences du langage, ed du seuil, paris,1972.
- Emile Benveniste, Problèmes de linguistique générale,
s éd. Paris : 1974, Gallimard.

والنصوص التطبيقية حاولت من خلالها أن تكون وظيفية حتى تبسط بالتحليل الهادف المدارس اللسانية المقررة، وصلتها بالدرس اللساني الحديث في أول ظهوره.

والله نسأل التوفيق.

المحاضرة الأولى

الحلقة /المدرسة / النظرية

الحلقة:

تناولت المعاجم المتخصصة معنى مصطلح الحلقة، ومن هذه معجم اللغة العربية المعاصرة لأحمد مختار عمر[1] الذي يرى أنّ مصطلح حَلَقَة [مفرد]: ج حَلَقات وحَلْقات وحِلاَق وحَلَق (على غير قياس) تختلف بنيتها وإن اشتركت في حروفها فمعناها يختلف من مصطلح إلى آخر؛ فحِلَق: 1- كلّ شيءٍ استدار "يمثِّل جهاز الشُّرطة حلقة جوهريّة في نظام أمننا"| حَلْقة المفاتيح/ حَلَقة المفاتيح: سلك معدنيّ مستدير تعلّق به المفاتيح- حَلْقة الملاكمة: ميدان مباراة الملاكمة- حَلْقة تجسُّس: عصبة من الجواسيس- كالحلقة المفرغة لا يُدرى أين طرفاها [مثل]: للدلالة على تعذّر القطع في أمر. 2- جماعة يجلسون في شكل دائرة "تلقَّى العلمَ في حلقة فلان- تُعقد حلقة تعليم التجويد يوميًّا- حَلْقة الأسماك"| حَلْقة الذِّكر/ حَلْقات الأذكار: مجالس الذكر يؤدِّي فيها بعض أعضاء الطرق الصوفيّة ابتهالاتهم- حَلْقة القوم/ حَلَقة القوم: دائرتهم- حَلْقَة دراسيّة/ 3- حَلَق؛ قُرط (في الأذن أو الأنف) "اتّخذت في أنفها حلقة كبيرة من الذهب"| حَلْقة الأنف: حلقة تُوضع في أنف حيوان. 4- خاتم من ذهب أو فضّة. 5- جزء من سلسلة - "وظيفة اللغة هي أنّها حلقة في سلسلة النشاط الإنسانيّ- فرد القوَّات المسلَّحة حَلْقة من حَلَقات القوَّة العسكريّة"| الحلقة المفقودة: عامل أو سبب يؤدِّي اختفاؤه إلى تعقيد أمرٍ ما أو التباسه- حَلْقة اتِّصال/ حَلْقة وصل: ما يصل بين طرفين أو أكثر- حَلْقة بحث/ حَلَقة بحث: مجموعة صغيرة من الطَّلبة الخريجين من جامعة أو مدرسة مُنخرطة في البحث العلميّ أو الدراسة المكثَّفة تحت إشراف أستاذ معيَّن- حَلْقة من رواية:

[1] أحمد مختار عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة، دط.القاهرة:2008،عالم الكتب، ص546-547. بتصرف.

فصل أو جزء منها. 6- (دب) أحد أقسام السرد المسلسل، تمثيليًّا كان أو روائيًّا كحلقات التمثيليات المسلسلة في الإذاعة وحلقات القصّة التي تنشر تباعًا في مجلّة من المجلاّت. 7- (سف) جملة أبحاث تدور حول موضوع واحد.

حَلَقَة دراسيّة: مجموعة صغيرة من طلاب الجامعة المتخصِّصين منصرفة إلى دراسة موضوع من الموضوعات.

وفي اللسانيات (الدرس اللغوي الحديث) بتوظيف مصطلح الحلقة يشير إلى اجتماع مجموعة من الأساتذة لتناول قضايا النحو الجرماني، وفي ذلك إشارة إلى حلقة براغ التي استمرت استمرت اجتماعات أصحابه لتوحد جهودهم وتوجهها لدراسة ما له علاقة بالدرس اللغوي. وقد تتطور الحلقة زمنيا لتكون مدرسة.

- المدرسة:

أسهبت المعاجم في تحديد معاني مصطلح المدرسة ومن ذلك معجم لسان العرب لابن منظور[1] وغيره، إذ القاسم المشترك بينها هو البعد التربوي لهذا المصطلح، ولو وقفنا عند معناها اللغوي لوجدنا مصطلح المدرسة" في عرفهم مشتق من الفعل الثلاثي دَرَسَ، ودرس الشيء يعني جزَّأَهُ، ودَرَس الكتاب يعني كرّرَ قراءَتَه ليَحفَظه ويفهَمه، ودرس الدرس يعني جزّأ الدرس ليَسْهُل تعلّمُه على أجزاء، ويُقال درس القمحَ أي طَحَنَهُ، ويُقال فلانٌ من مدرسةِ فلان يعني ذلك أنّه على رأيه ومذهبه. مفهوم المدرسة اصطلاحاً هي مكان التّعليم والتّدريس، فالمدرسة مؤسسةٌ أسّسها وأنشأَها المجتمعُ بهدفِ تربيةِ وتعليم من يشترك فيها[2]، مؤسسة نظامية وجدت للعمل على تربية الأفراد وإعدادهم في إطارٍ معيّنٍ من البرامج والمناهج المحددة.

[1] ابن منظور، لسان العرب، دط.بيروت: دت،دار صادر مادة (د.ر.س)

[2] mawdoo3.com/مفهوم_المدرسة_لغة...2020/09/04 تاريخ الإطلاع:

تحرص على توجيه العملية التعليمية التوجيه الصحيح وهذا أساس قوتها، فهي لم تعد كما كان معروفاً سابقاً أنّ دورها الأساسي في المحافظة على تراث المجتمع الثقافي وقيمه، ونقله من جيلٍ إلى آخر، وتعليم الطلاب القراءة والكتابة بالطرق القديمة كالتلقين، بل تطورت وأصبحت المدرسة هي المكان التربوي الذي يهتم بتربية الطفل تربيةً سليمةً من الناحية الجسمية والعقلية، والعاطفية، بهدف تكوين الشخصية المتزنة والمتوازنة. مؤسسة رسمية، تم إنشاؤها لحاجة المجتمع لها، وذلك بتكوين العلاقات الاجتماعية داخلها، للقيام بالوظائف التربوية المحددة لها، والتي تهدف إلى تنشئة الطالب من جميع الجوانب الضرورية، وذلك من أجل المحافظة على المجتمع وبقائه ففي بداية كلّ عامٍ دراسيّ يدخل فوجٌ جديدٌ للتعلّم وإكمال المسيرة التعليميّة، وبذلك فهي اللبنة الأساسيّة في المجتمع لخلق أجيالٍ تَنهَضُ بالأمّة وتواكِبُ العلمَ والتطوّرَ والحضارة. عناصر المدرسة حتى يَنجحَ مفهومُ المدرسةِ يَجِبُ أن تحتوي على عناصرَ أساسيّة، وتتألّفُ المدرسةُ من المعلِّمين، والطّلاب، والكتب، والغرف المدرسيّة، وأدواتِ الدّراسة ، وفي المدارس أيضاً تختلف المراحل الدارسيّة على مُختَلَف الأعمارِ؛ حيث تبدَأُ الدّراسة بالمرحلة الابتدائية عندما يكونُ الطالبُ في مرحلة الطفولة، ومن ثمّ المرحلة الإعداديّة وهي مرحَلَةِ المراهقة حيث يبدأُ عقلُ الطّالِبِ باستقبالِ معلوماتٍ مُختَلِفَةٍ وبمستوىً أعلى من المرحلة الابتدائيّة، ومن ثمّ المرحلة الثانويّة وهي مرحلة البُلوغ، والشّباب وهي آخر المراحل الدارسيّة، فبعد انتهاء الثانويّة يتوجّهُ الطالبُ إمّا لإكمالِ مسيرَتِهِ التعليميّة أو مسيرَتِهِ الحياتيّة، فالمدرسةُ مكانٌ يقضي فيه الإنسانُ مراحلَ عُمُرِهِ الأولى.

يتميز المدرسون بقدرٍ من الثقافة والعلم والمقومات الأكاديمية، وهم الذين يقومون بعملية التعليم، أما الفئة الثانية وهم التلاميذ الذين يتلقّون التعليم، وهذه الفئة تخضع للعديد من الاختبارات، أما ما تبقى من أفراد في هذه المؤسسة كالإداريين وغيرهم، فهم في مقام الوسائل المساعدة على عملية التنظيم، وتسهيل العملية التعليمية. يقوم عمل المدرسة عن طريق التفاعل الاجتماعي، وذلك بالتمركز حول العملية

التعليمية، وضرورة إلزام الطالب بالتقيد بما جاءت به المناهج الدراسية من تطبيق مجموعة من الحقائق والمهارات والقيم الأخلاقية. تعتبر المدرسة النقطة المركزية للعلاقات الاجتماعية العديدة المتفاعلة بعضها مع بعض كالتلاميذ والمدرسين والمجتمع الذي يعيشون فيه. يسود في المدرسة شعور بالفخر والانتماء تجاه هذه المؤسسة التعليمية، وأن الفترة التي يقضونها في المدرسة هي أهم فترات حياتهم، ويظهر هذا الشعور بشكلٍ واضح في المباريات التنافسية. تنتشر في المدرسة ثقافةٌ معينة تمثل جانباً أساسياً من أخلاق الطلبة والمدرسين وسلوكهم، ويكون لها دورٌ بارزٌ في تقوية العلاقات والروابط فيما بينهم. وظائف المدرسة إنّ وظيفة المدرسة لا تقتصر على تعليم الطلبة بعضاً من العلوم والمعارف العلمية، بل تتعدى وظيفتها إلى أكثر من ذلك منها، النقل الثقافي، حيث تعمل المدرسة على نقل التراث الثقافي الموروث إلى الجيل الجديد بأسلوبٍ سهلٍ وميسّر بعد تنقيحهِ وتطهيرهِ من الخرافات التي كانت عالقةً به. التكامل الاجتماعي، ذلك أنّ المجتمع يحتوي على العديد من الجماعات المختلفة.

دور المدرسة:

– يأتي دور المدرسة، لإزالة التناقضات التي قد توجد بين هذه الجماعات، وتحقق التكامل فيما بينها.

– النمو الشخصي لطالب المدرسة فهي تعمل على رعايته داخل حدودها وخارجها، وذلك بتكوين شخصيته القوية المتماسكة.

– تنمية أنماط سلوكية واجتماعية جديدة لدى الفرد، والعمل على تنميتها على أسسٍ علمية ومعرفية، ليستطيع الطالب أن يتكيف مع المجتمع الذي يعيش فيه.

– تنمية القدرات الإبداعية، فالمدرسة تعمل على تنمية القدرات العلمية، وترعى الأفكار الإبداعية، وتنمي لدى الطالب الفضول المعرفي الذي يدفعه للنجاح.

– توفير المناخ المناسب الذي يشجع الطالب على ممارسة حقه الديمقراطي، وعلاقتهِ الإنسانية في المدرسةِ وخارجها.

– تلتفت المدرسة إلى الصحة النفسية للطلبة تُعد فتحرص على البناء التربوي والاجتماعي السليم للأبناء، والذي يحتل المرتبة الثانية بعد الأسرة، لما تُقدّمه من بيئة تساهم في دعم الصحة النفسية والاجتماعية للطلاب، فهي لها أهميةٌ كبيرةٌ في توفير الرعايةِ لهم، خاصةً أنّ دور الأسرة هذه الأيام لم يعد كما كان سابقاً، نظراً لكثرة الانشغالِ بالأعمال، وضيق الوقتِ، وعِظم المسؤوليات التي يتولاها المربون. كل ذلك يعمل على صقل شخصية الطالب، ويُنمي من قدرته على حل المشكلات التي تواجهه، وتحمل المسؤولية التي تقع على عاتقه، فالمدرسة يأتي دورها مُكملاً لدور البيئة الأولى للطالب وهي الأسرة، فهي تهدف لتربية جيلٍ قويٍ سليمٍ، تعلم كيف يسعى للنجاح، وكيف يقابل الفشل الذي يعترض طريقه، وكيفية التوافق النفسي مع الظروف، فيُقبل على الحياة بكل أملٍ وتفاؤلٍ وحماس.

لكن يتوسع مصطلح مدرسة إلى معان أخرى كلية أو لنقل مجازية كقولنا (علمتني مدرسة الحياة) (كل من نتعلم منه فهو مدرسة) مثل مواقف بعض من نتعامل معهم في قضايا حياتية مختلفة (الأم مدرسة) ليس بالضرورة أن تكون معلمة في المدرسة أو أوتيت حظا من العلم ولو قليلا.

أما في ميدان الدرس اللغوي فالمراد بالمدرسة هي مجموعة من المفكرين أتباع لفكر معين قد يصطلح عليهم تراثيا بالمريدين وهم مجموعة من الدارسين يتبعون عالما في فكره وتوجهاته ومجال تخصصه، كقولنا المدرسة السوسيرية نسبة لأتباع دي سوسير في الدرس اللساني.

- النظرية:

لا شك أن أي مدرسة علمية إلا ويصدر من رجالاتها مجموعة من النظريات تميز فكر أصحابها وتحدد معالم هذه المدرسة.

وعليه يجدر بنا تعريف النظريّة[1]، فهي لغةً: مشتقة من الكلمة الثلاثيّة نَظَرَ، ومعناها التأمّل أثناء التفكير بشيء ما، أمّا اصطلاحاً: فتُعرف بقواعد ومبادئ تُستخدمُ لوصفِ شيء ما، سواء أكان علمياً، أم فلسفياً، أم معرفياً، أم أدبياً، وقد تثبتُ هذه النظرية حقيقة معيّنة، أو تسهمُ في بناءِ فكر جديد، ومن التعريفات الاصطلاحيّة الأخرى للنظريّة: هي دراسة لموضوع معين دراسة عقلانيّة ومنطقيّة، من أجل استنتاجِ مجموعة من الخلُاصات والنتائج التي تسهمُ في تعزيز الفكرة الرئيسيّة التي تُبنى عليها النظريّة. تاريخ مفهوم النظريّة استُخْدِمَ مفهوم النظريّة للمرة الأولى في الفلسفة اليونانيّة للإشارة إلى المُصطلحات، والمفاهيم التي تخالفُ التطبيقات العمليّة الواقعيّة، واعتُبر الفيلسوف اليونانيّ أرسطو أولَ مَنْ اعتمدَ على تطبيق فكرة النظريّة للتفريق بين الحقائق المُطبقة فعليّاً والنظريات الفكريّة، ثمّ أصبح مصطلح النظريّة من المُصطلحات المعرفيّة التي تُستخدمُ في العديدِ مِن المجالات سواء الفلسفيّة، أم العلميّة أم غيرها. في القرن السادس عشر للميلاد أصبح مفهوم النظريّة أكثر استخداماً للدلالةِ على العديد من أنواع الدراسات التي اعتمدتْ على مصادر ومراجع موثوقة، وقابلة للتحليل والتفسير، والتي مِن الممكن تطبيقها ضمن المجال الخاص بها، وساهمتْ في تحقيقِ إضافة متطورة إلى مجموعة من المجالات الدراسيّة، وهكذا أصبحتْ النظريّات جُزءاً مهماً من الدراسات الإنسانيّة، والعلميّة، والطبيّة، والأدبيّة، والفلسفيّة، والتي دُرّست في العديد من المدارس والجامعات.

[1] للتعمق أكثر ينظر:
أحمد مختار عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة.

- أنواع النظريّات:

النظريّة الفلسفيّة وهي أول وأقدم النظريّات التي ارتبطتْ بِمَفهومِ النظريّة؛ إذ حرصَ الفلاسفة في العصر اليونانيّ على ربطِ كافة الموضوعات، والدراسات، والأفكار التي صاغوها بمجموعة من النظريات التي تُقدمُ الدعم لآرائهم الفلسفيّة، وتُحولها إلى حقائق واقعيّة، وهكذا أصبحت أغلب الدراسات في مجال الفلسفة تعتمدُ على مجموعة من النظريّات، مثل: نظريّة نشأة الأرض التي اهتمّ العديد من الفلاسفة بدراستها. النظريات العلميّة وهي التي تستخدمُ في أغلبِ مجالات العلوم، وتعتبرُ نظريّة علم الطبيعة مِن أول النظريّات العلمية التي اهتمتْ بدراسةِ مُكوّنات الطبيعة بالاعتمادِ على مجموعة مِن المُلاحظات، والدراسات العلميّة المُحتوية على أبحاث واكتشافات أدّت إلى ظهورِ مجموعة مِن النظريّات العلميّة في العديد من أنواع العلوم، مثل: النظريات الطبيّة التي تهتمُ بالبحث في الأمراضِ وطرق علاجها. النظريات السياسيّة وهي التي اعتمدتْ على الفكر السياسيّ الذي ظهرَ منذُ عصر النظريّات الفلسفيّة، وتطوّرت في القرن التاسع عشر الميلاديّ، واستمر تطوّرها حتى نهاية القرن العشرين للميلاد، وتعتمدُ النظريّات السياسيّة على الآراء والأفكار التي أطلقها عدد من الفلاسفة والسياسيّين، وأصبحتْ مع الوقت حقائق أدّت إلى تأسيسِ مجموعة من المدارس الفكريّة السياسيّة، والتي أثرت في كافةِ دول العالم تقريباً، ومن الأمثلة على النظريات السياسيّة: الأفكار الاشتراكيّة، والأفكار الرأسماليّة بصفتهما من أشهر المجالاتِ الفكريّة التي احتوتْ على نظريّات سياسيّة.

ومنه فالنّظريّة العلميّة هي الهيكل الفكريّ المنتظم للنّطاق الواسع، الذي يتصوّره الخيال البشريّ، ويشمل مجموعة من القوانين التّجريبيّة التي تتعلّق بالانتظام الموجود في الأشياء والأحداث، التي تمّت ملاحظتها وافتراضها؛ فالنّظرية العلمية هي البنية التي يتم اقتراحها من قبل هذه القوانين، وهي موضوعة لشرح هذه النّظم

بطريقة عقلانيّة وعلميّة، وعلمياً تعني كلمة النّظرية الطريقة التي تفسّر فيها الحقائق.

وتشير النّظريّة إلى شرح شامل وتفسير لميزة هامة في الطّبيعة، تدعمها الحقائق التي تم جمعها مع مرور الوقت، وتتيح النّظريات للعلماء فرصة التنبؤ بالظواهر الأخرى غير الملحوظة بعد.

آلية توظيف النظرية العلمية:

*الملاحظة .

* الفرضية.

* التّجربة.

* تقارير القياس(القانون): وإذا كانت تقارير القياس دقيقة، فيمكن اعتبارها كقوانين تجريبية تعبّر عن العلاقات المستمرّة بين الأشياء أو الخصائص الملاحظة، ويمكن للعالم أن يقدم خطة منهجيّة أو نظريّة علميّة لطرح تفسير مقنع لسبب حصول بعض القوانين، خاصةً عندما تكشف هذه القوانين التجريبية عن النظام الحاصل في سلوك الأشياء أو الأحداث.

تبدأ النظريّة العلميّة كفرضية، وتكون هذه الفرضية العلمية الحل المقترح لحدوث حالات غير مفسرة تتنافى وتتعارض مع النظرية العلمية المقبولة حالياً، فالفرضيّة العملية هي الفكرة التي لم تثبت بعد، وفي حال وجود أدلّة كافية لدعم الفرضيّة، فإنّها تنتقل إلى المرحلة الآتية المعروفة باسم نظرية، وتصبح بذلك التفسير المقبول لظاهرة ما، والعامل في ارتقائهل لمصاف النظرية هي التجربة. وعليه لا يمكن للحقائق أن تتغير ولكن يمكن للنظريات أو الطريقة التي تفسّر فيها هذه النظريات أن تتغير، لأن الحقيقة العلمية ثابتة.

أما في جانب الدرس اللساني فإن النظرية تحدد معالم فكرة لغوية (– أصولها – قواعدها – أهدافها– مجال تطبيقها...) وعادة ما تنسب النظرية إلى أصول المدرسة التي أنتجتها كالنظرية الخليلية مثلا.

المحاضرة الثانية

لسانيات دي سوسير

لم يكن الحديث عن اللّغة حديث العهد، بل بدأ عندما بدأ الإنسان يعي نفسه، ويفهم العالم من حوله حينئذ وجد اللّغة ملازمة له، ولعل هذا ما أهَّلَها لتكون موضوع تأمّلاته وتخميناته لتقوده تساؤلاته في الأخير إلى الدّراسة العلميّة[1] لها، ضمن علم مستقلّ هو اللّسانيات، أسّسه وسعى في تطويره علماء لا يمكن بأيّ حال من الأحوال تجاوز ما قدّموه للبشريّة من فتوحات علميّة عند تناولهم اللّغة بالدّراسة، ومن هؤلاء:

(فردناند دو سوسير Ferdinand de Saussure): يسجّل تاريخ البّحث اللّساني الحديث صفحات من ذهب – وبعيدا عن وجهات النّظر المتباينة لزمن[2] ظهور هذا العلم – يذكر فيها العمل الجليل الّذي قام به العالم السّويسري (فردناند دو سوسير Ferdinand de Saussure) وبشهادة أحد أقطاب هذا العلم بالقول: " من المحتمل أنّ سنوات 1876-1916 قد شكّلت في تاريخ علمنا واحدة من نقاط التّحوّل كما يسميها (ويتني Whitney)، قد تضاهي أهميّة اكتشاف السنسكريتيّة "[3]وفي بعض ذلك إشارة إلى أفكار (دو سوسير) الفذّة الّتي رأت النّور بعد نشر كتابه محاضرات في اللّسانيّات العامة (Cours de linguistique

---

[1] - Emile Benveniste, Problèmes de linguistique générale, s éd. Paris : 1974, Gallimard, T2 P 29.

– عبد السّلام المسدي،اللّسانيات وأسسها المعرفيّة، د ط. تونس: 1986م، الدّار التّونسيّة للنّشر، ص23.

[2] – Georges Mounin, clefs pour la linguistique, 17eme éd. Paris : 1971, Seghers, P 19.

[3] – Georges Mounin, Histoire de la linguistique des origines aux XX eme siècle, s.éd. Paris: 1985, P.V.F, P 225.

générale) والّتي غيّر بها مجرى الأفلاك في علم اللّسانيات، بداية بـ " ضرورة دراسة اللّغة لذاتها، والحال ولحد الآن تم تناولها تبعا لأشياء ووجهات نظر أخرى"[1] بذلك يكون قد قاد هذا العلم إلى الاستقلالية [2]*عن العلوم الأخرى. واستوجبت استقلاليّة هذا العلم قيامه على أصول منهجيّة[3] متميّزه، فجعل من الزّمن عاملا رئيسا ومهمّا في الظّاهرة اللّغويّة، بل أبعد من ذلك فـ" خارج الزّمن الحقيقة اللّسانيّة غير كاملة، وأيّة نتيجة غير ممكنة "[4]إلاّ في زمن محدّد، تتجسّد فيه العلاقات التّوافقيّة بين الدّوال ومدلولاتها ضمن مجموعة اجتماعيّة تحتضن اللّغة وتضمن وجودها، وهذا ما أكّده حين قال: "يجب وجود جماهير متكلّمة (Une masse parlante) لتوجد اللّغة"[5]وهذا تأكيد على الطّابع الاجتماعي للّغة، وإشارة إلى وظيفتها التّواصليّة.

أنار هذا الفتح العلميّ درب البّاحثين في هذا الميدان، جعل البعض يصفه بالثّورة الكوبرنيكية[6] في اللّسانيات، بل في العلوم الإنسانيّة قاطبة، وهذا ما جعل

---

[1] - Ferdinand de Saussure, Cours de linguistique générale, édition critique préparé par:

T. De Mouro. Paris: 1979. Payot, P 34.

[2] - للتّعمق أكثر ينظر:

- Tsutumu Akamatsu et al, The linguistics encyclopedia, 2nd éd. New York: 2004 Routledge.

[3]- أحمد مومن،اللّسانيات النّشأة والتّطور، ص123.

[4] - Ferdinand de Saussure, Op Cit, p 113.

[5]- Ferdinand de Saussure, Cours de linguistique générale, P112.

[6]- للتعمق ينظر:

- Georges Mounin, clefs pour la linguistique, P 25.

- شرف الدّين الرّاجحي وسامي عياد حنا، مبادئ علم اللّسانيات الحديث، د ط. القاهرة: 2003م ، دار المعرفة الجامعيّة ص 45.

أغلبيّتهم إليه ينسبون مصطلح التّواصل (Communication) في حين "سوسير لم يقم بأيّة إحالة إلى التّواصل"[1] اللّهم ما أشار إليه في دورة الكّلام الّتي، أقامها على أساس تبادل العلامة[2] بين (أ وب) حسب التّرسيمة التّاليّة:[3]

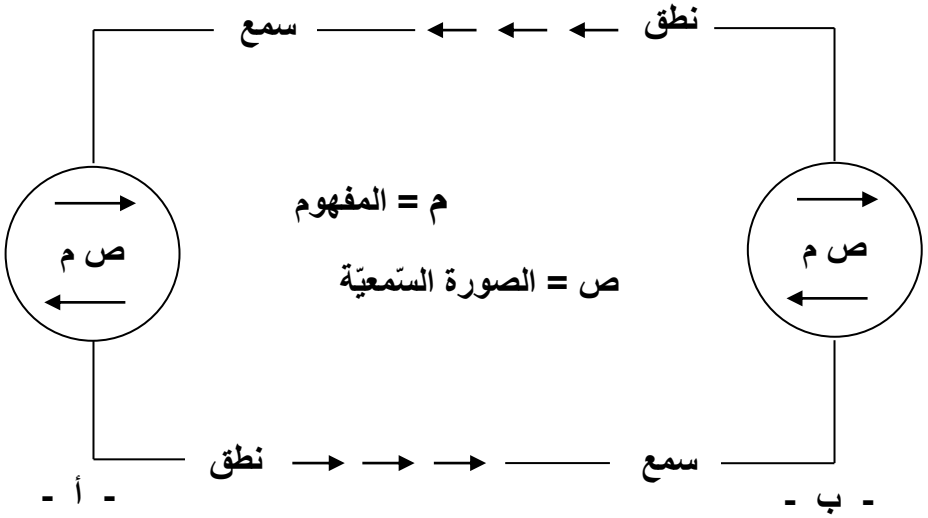

شكل يمثل دورة الكلام عند دو سوسير

يتبيّن من التّعليقات الّتي صاحبت هذه التّرسيمة المجسّدة لدورة الكّلام عند (دو سوسير) مايلي:

– سلطة مركزيّة تنتج المفهوم وتهتدي إليه، لا يمكن أن تكون إلا دماغا، أو ما يقوم مقامه، ويؤدّي دوره.

– يتزّيا المفهوم بزيّ جديد، يمكن له الانتقال من فم (أ) إلى أذن (ب).

---

[1]- Christian Bachmann, et autres, Langage et communications sociales, s éd. Paris : 1991 Hatier/Didier, P 17.

[2] – للتّعمق أكثر ينظر:

-Jeans Dubois et autres, Dictionnaire de linguistique, s éd. Paris: 2002, Larousse.

[3] – Ferdinand de Saussure, OP Cit, P 28.

– يرسو المفهوم بزيّه الجديد على صورة تمكّن السّلطة المركزيّة لـ (ب) من الاهتداء إلى المفهوم الّذي أنتجته السّلطة المركزيّة لـ (أ).

– إذا أراد (ب) أن ينقل مفهوما إلى (أ) يتخّذ هذا الأخير صورة عكسيّة للّتي وصل بها، والمسار نفسه يسلكه لكن باتجاه معاكس، وهذا ما ينقل بصدق طبيعة العلامة عند (دو سوسير) مفهوم + صورة سمعيّة = المدلول + الدّال؛ أي إنّ العلامة إذا تمظهرت في صورة الدّال عند (أ) فإنّها تتمظهر بصورة المدلول عند (ب) وهكذا. ويتأكّد أنّ التّواصل لا يتحقّق بين (أ) و(ب) إلاّ إذا كانت الأعضاء المسهمة في إنجازه سليمة، وحتى وإن كانت كذلك فالتّواصل لا يكون كوجود عيني إلاّ إذا توفَّرت القصديّة له، وهذا ما يؤكّد أنّ وجود السّلطة المركزيّة (الدّماغ) وجود وظيفي تحرّكه قوى نفسيّة عديدة.

ومن الشكل الذي أتى به سوسير يمكن أن نستلهم مفاهيم ذات صلة باللغة:

* اللغة (la langue) خاصية بشرية، وملكة إنسانية تتجسد في تلك القدرات التي حبا بها الله الإنسان دون سواه من الكائنات، يهتدي إلى توظيفها كلما دعت الحاجة إلى ذلك وفق نظام عام أملاه المجتمع، وهي بذلك مجموعة من التواضعات التي اطمأن إليها مجتمع ما ليحقق بها التواصل بين أفراده، وهذا ما يجعل منها نظاما مضبوطا مشتركا، تحققه لايقوم دون تعاون أجزائه المكونة له.

*الكلام (La parole) هو الأداء الفعلي للغة في الواقع ويقابله مصطلح الإنجاز يقوم به كل فرد من مجتمع معين؛ أي هو نشاط فردي ينزل باللغة منزلة التطبيق والتوظيف والاستعمال الملموس لها، وهو بذلك ما ينطقه الفرد من وحدات لغوية باختلاف أنواعها ومستوياتها تشترك كلها في كون مصدرها واحد هو المجتمع الذي

يعيش فيه هذا الفرد ويتقن لغته، والكلام بهذا يتزيا بزي شخصي وفق ما ينتجه المجتمع لتتعين خصوصية التأدية اللغوية والممارسة الفعلية للغة عند كل فرد من هذا المجتمع.

* اللسان (le langage) هو اجتماع اللغة والكلام؛ وهو بذلك ما أستودع في أدمغة الأشخاص الذين ينتمون إلى مجتمع واحد، يميز لغتهم وتأديتهم لها عن لغات المجتمعات الأخرى، وهذا ما يجعل منه نظاما عاما يقنن العلاقة بين المعاني المستهدفة والمقاطع الصوتية المعبرة عن هذه المعاني.

* عندما تمارس اللغة ممارسة فعلية نلمح فيها مايلي:

1- جزء يتم في الذهن(الدماغ) باعتباره مركز دورة الكلام، حيث ترتبط وتتطابق الصورة الذهنية (الفكرة) بالصورة السمعية ⟵ عملية نفسية.

2- جزء يتم خارج مجال جسم الإنسان، وتقوم به الموجات الصوتية الموجودة في الهواء عندما تنقل الأصوات من المتكلم إلى السامع ⟵ عملية فيزيائية.

3- لا يمكن لـ (1) أن يتحقق ولا لـ (2) أن يتجسد إذا كانت الأعضاء المنتجة للصوت أو الناقلة له غير موجودة أو معطلة والمتمثلة في الرئتين والحنجرة واللسان والشفتين وغيرها ⟵ عملية عضوية.

4- تنتصب قدرة تنسيقية عندما يقوم المتواصل بتنظيم اللغة من حيث هي نظام باعتبار وحداتها ليست عناصر منعزلة، بهدف تحقيق النجاعة التواصلية وفق النظام العام الذي يحكم لغة المجتمع الذي ينتمي إليه.

هذا التفرع الذي تنشطر إليه طبيعة مكونات اللغة يجعل منها شيئا معقدا ليس من اليسير الإهتداء إلى حقيقته، لذا إخضاعه للدراسة العلمية أضحى ضرورة، ولاسيما أن اللغة عنده شبكة واسعة من التراكيب تنتضد فيها العلامات اللغوية وفق نظام عام قائم بذاته وهذا ما يشير إلى أن كل عنصر لغوي في الممارسة اللغوية لا يكتسب قيمته إلا من خلال علاقاته مع العناصر الأخرى المستنفرة معه لتحقيق التواصل، ومن خلال الوظيفة التي يؤديها في التركيب، فنشأ بذلك علم جديد هو علم اللغة أو اللسانيات العامة.

ومن خلال مفاهيم المصطلحات الثلاثة المذكورة أعلاه (اللغة + اللسان+ الكلام) أخرج دي سوسير الكلام من دائرة اهتمام هذا العلم ورفض أن يكون موضوعا تدرسه اللسانيات وما ينبغي لها؛ لأن الكلام يميزه الطابع الفردي، هذا ما قد يؤهله ليكون موضوعا لعلم خاص أو عدة علوم خاصة باعتبار النوازع النفسية والوظائف البيولوجية التي تصاحب الممارسة اللغوية لدى الفرد عند كل كلام وبتنوعها يتنوع الكلام ولا يتحدد. فما أهل للسانيات العامة كموضوع للدراسة إلا اللغة باعتبارها نظام من العلامات يشترك فيه كل المتكلمين وهذا ما يجعل منه نموذجا جمعيا، وكونه كذلك يجعل منه موضوعا محددا، وهذا ما يؤهله ليكون موضوعا للسانيات العامة.

– **اللسانيات:** تعتبر اللسانيات الدراسة العلمية للغة، حيث يعتمد اللسانيون على الفحص الموضوعي للغة المدروسة، دون ميل إلى إطلاق أحكام ذاتية على أي ظاهرة لغوية، كالإعلاء من شأن لغة من اللغات أو الحط من شأن أخرى، فينتفي بذلك مبدأ التفاضل بين اللغات وهذا ما يجعل أية لغة وأية لهجة مؤهلة

لتدخل في دائرة اهتمام هذا العلم. وباعتماد الملاحظة يتوصل إلى القوانين المتحكمة في الأداء اللغوي الفعلي لجماعة لغوية معينة.

نتج عن اعتبار دي سوسير اللغة نظام من الدلائل يعبر بها الإنسان عن أفكاره مجموعة من التصورات النظرية التي تميز هذا العلم، حددها على شكل ثنائيات يتعين على إثرها مجال علم اللغة، وأسسه النظرية. وفي تناولها حري بنا أن نقف عند بعض المصطلحات اللسانية التي ميزت طرح سوسير لأفكاره من بينها:

* **العلامة اللّغوية (le signe linguistique)**: هي اللفظة التي تكون ذات طبيعة مركبة تجمع بين الصورة الصوتية (أو الكتابة) وتسمى الدال(Signifiant) وبين المحتوى الدلالي لهذه الأخيرة ويسمى المدلول (Signifié) فالعلامة اللّغوية في نظر دي سوسير هي ما تكونت من دّال ومدلول أو من لفظ ومعناه، فمثلا كلمة "قلم" مكونة من مجموعة الأصوات هي : قـ+ـَ+ل+ـَ+م+ـُ المتآلفة فيما بينها وبمجرد رؤية هذه الكلمة مكتوبة أو سماعها منطوقة يتسارع إلى أذهاننا مفهومها وصورتها وحتى شكلها.درجة التطابق بين الدال والمدلول تجعل إسقاط الأول وجودا يقتضي إسقاط الآخر حدوثا، ودرجة التطابق بينهما كدرجة التطابق بين وجهي الورقة الواحدة وجود وجه من وجهيها يقتضي وجود الوجه الآخر هذا من جهة، ومن جهة أخرى استحالة فصل وجهي الورقة عن بعضهما البعض، والمثال نفسه ينطبق على وجهي القطعة النقدية.

ومن خلال عناصر العلامة اللغوية تبرز إلى الوجود **الثنائية الأولى وهي الدال والمدلول.**

* **الاعتباطية**"Arbitraire": وهي طبيعة العلاقة بين الدّال والمدلول في العلامة اللغوية، ويعتبر كل من الدّال والمدلول من العناصر الأساسية في هذا العلم عند

سوسير؛ إذ يرى أن هذه العلاقة التي تربط بين الدّال والمدلول هي علاقة اعتباطية وتظهر هذه العلاقة في أن دّالا معيناً يُطابق مدلولا معيناً في الواقع[1] وهذا التطابق غير محكوم بضوابط وقوانين مهما كانت عوامله وبذلك فهي علاقة غير إلتزامية بين هذين العنصرين؛ وهنا يظهر موقفه المخالف لرأي كل من أفلاطون وسقراط. ومن هنا فإن العلاقة اللغوية لا تربط شيئا باسم، إنما تربط متصورا ذهنيا (مدلول) بصورة صوتية (دال)؛ أي إن الصورة السمعية ماهي إلا بصمة نفسية للصوت وبذلك فاللغة ليست عملية تسمية للعالم بل هي عملية ترميزية له، ولو كان هناك ارتباط طبيعي لما اختلفت اللغات في تسمية الأشياء، ولكانت مثلا الكلمة التي تعبر عن القلم في العربية هي ذاتها في غيرها من اللغات وإن تعددت.

* **مبدأ القيمة اللغوية** (la valeur):تكمن قيمة العلامة اللغوية(الكلمة) في ميزتها التي تمكنها من الإحالة إلى فكرة معينة.فقطعة نقود من5فرنكات لا يمكن تحديد قيمتها إلا من خلال معرفة أنه يمكن تبديلها بكمية محددة من شيء آخر كالخبز مثلا، أو مقارنتها بقيمة مماثلة لها في النظام المصرفي ذاته كقطعة فرنك واحدة أو بقطع نقود من نظام مصرفي آخر كالدولار مثلا، وهذه الكلمة قابلة لأن تستبدل بشيء مغاير(فكرة) أو مشابه(كلمة أخرى) وإمكانية استبدالها يجعل منها غير ثابتة، وباعتبارها جزءا من نظام فهي لا تتمتع بدلالة فحسب بل بقيمة أيضا[2]، والقيمة اللغوية للدليل ليست المعنى الذي يحيل إليه الدليل ذاته فحسب باعتبار قيمة الكلمة تكمن في تمثيل فكرة معينة، بل القيمة اللغوية يستمدها دليل معين من العلاقات الترابطية، لنقل السياقية الناتجة من ارتباط علامة لغوية معينة من نظام لغوي معين

[1]– نور الهدى لوشن، مباحث علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، دط. الشارقة: 2008، الفتح للتجليد الفني ، ص320.

[2] – أحمد مومن، اللسانيات النشأة والتطور، ص129.

بعلامات أخرى موجودة معه في تواصل معين؛ بمعنى قيمة العنصر الواحد لا يمكن أن تتحدد بوجوده لوحده بل بتواجد قيم العناصر الأخرى معه، فقيمة منزل شيد بقلب العاصمة ليست هي نفسها لبيت بني في ضواحيها أو في القرى الداخلية ولو كانا من اللبنة نفسها، والمساحة ذاتها والشكل الهندسي عينه لا لشيء إلا لأن الأول استمد قيمته حتما الكبيرة من قيمة ما حوله من بيوت ومباني ذات صلة به وبالمكان الذي يوجد فيه (العاصمة).

* **اللغة نظام:**يعتبر هذا المفهوم ركنا مكينا في الطرح الذي تقدم به سوسير، فعندما درس الدليل وخصائصه وجد أن اللغة تسير وفق نظام منظم بشكل عجيب، إذا اختل جزء منه اختل النظام كله، وهذا ما جعله يصف اللغة بأنها على شكل لعبة شطرنج، فاللعبة تحتكم على مجموعة مختلفة من **العناصر (الأدوات):** البيادق، **المادة المصنوعة منها:** الخشب، البلاستيك، ولكل بيدق **خاصية تميزه:** الملك، الملكة، الجندي، الحصان، القلعة...الخ، **المكان الأصلي** لكل بيدق حسب ميزته (على يمين الملك، على يساره، أمامه، قريب منه، بعيد عنه، وكذا **المجال الذي يتحرك** فيه البيدق حركة لأَكل بيدق المنافس أو حركة فقط) وفي الأخير **وظيفة** كل بيدق من البيادق. فقيمة البيدق لا تتحدد بنوعية المادة المصنوع منها بل بوظيفته والمكان الذي يحتله مقارنة بمجموع البيادق الموجودة معه، كذلك اللغة لا تتحرك عبثا، وإنما وفق نظام جدّ دقيق وجدّ منظم ومحدّد. وبهذه الأفكار وطريقة الطرح تم الكشف عن أساس هذا البناء الذي تحوّل فيما بعد إلى تيار علمي لساني اصطلح على تسميته بالبنوية (structuralisme).

ثانيا : ثنائية اللغة والكلام: في إطار تحديد مصطلح (لغة) الذي هو موضوع علم اللغة، ميز سوسير بين ثلاثة مصطلحات كما أسلفنا، والشيء المميز بين اللغة

"Langue" والكلام "Parole" كما رسمه دي سوسير لأول مرة- يشمل عددا من المميزات المستقلة:

1- إذا كانت اللغة نظام من المواضعات والعلامات(قوانين) ما يميزها أنها مشتركة، فإن الكلام هو تلك المنطوقات الفعلية لتلك العلامات المشتركة؛ أي التمثيل المادي اللفظي الفردي للغة.
2- تتميز اللغة عن الكلام بتميز ما هو موجود بالقوة في الذهن عما هو موجود بالفعل بالممارسة.
3-اللغة نظام اجتماعي، وجوهري، ومجرد، ومستقل عن الفرد، بعكس الكلام الذي هو نتاج لإرادة فردية، وهو وصفة مادية لذكائه.
4-تتسم اللغة(القوانين) بالثبات، على عكس الكلام المتسم بالتنوع الفردي بتنوع الأفراد وأمزجتهم.

وعلى أساس هذا التمييز بين طبيعة اللغة، والتنوع الفردي للكلام، رأى سوسير أن نظام اللغة هو الموضوع الصحيح للدراسات اللغوية؛ لأنه يشتمل على أنماط منتظمة وثابتة، وهي بذلك المؤهلة للاكتشاف والوصف. كما رأى أن كل لغة ينبغي أن تصور وتوصف على أنها نظام من العناصر المترابطة، على المستويات الدلالية والنحوية والصوتية، لا على أنه تراكم من كيانات قائمة بذاتها.

ثالثا: العلاقات التركيبية والعلاقات الترابطية:

أ- **العلاقات التركيبية (relations syntagmatiques)**: باعتبار الكلام سلسلة من الوحدات المتتالية، فالعلاقات التركيبية بين هذه الوحدات تكون في العلاقة التي تجمع الوحدة اللغوية الواحدة مع الوحدات الأخرى في المتتالية نفسها، ويظهر في ما تضفيه كل وحدة من معنى إضافي على الكل بعد تقابلها مع الوحدات التي

سبقتها أو تلتها في التركيب ذاته أو كلاهما معا.كقولنا : فكر العالم نور؛ ففي هذه الجملة علاقة تركيبية مركبة من ثلاث وحدات لغوية هي:فكر+العالم+نور، وقد تتعمق العلاقة نفسها بين عناصر الوحدة اللغوية الواحدة ألا وهي الأصوات، نحو: الوحدة اللغوية: فكر=ف+ك+ر.وبهذا كما قال دي سوسير [1]فالعلاقة التركيبية هي علاقة حضورية تجسدها عبارتان أو أكثر موجودة بالفعل في متتالية لغوية.

ب- العلاقات الترابطية (relations paradigmatiques): إذا كانت العلاقة التركيبية تجسد العلاقة الموجودة فعلا بين عناصر المتوالية اللغوية (وهذا ما يجعلها حضورية) فإن العلاقة الترابطية تجسد العلاقة الموجودة بين علامة لغوية في متوالية لغوية حاضرة وعلامة لغوية أخرى غائبة عن المتوالية اللغوية الأولى فحضورها غير قائم إلا في ذهن مستعمل اللغة الذي به تستغل فرصة استبدال العلامة اللغوية الحاضرة بالعلامة اللغوية الغائبة نحو:

- فكر العالم نور.
- قول العالم نور.
- عمل العالم نور.

هذا على مستوى التركيب. والإجراء نفسه قد يتجسد كآلية على مستوى الكلمة، وذلك باستبدال أحد أصواتها ليحل محله صوت آخر من وجهة نظر استبدالية يمليها السياق وحيثياته؛ نحو: فكر، فقر، بكر....الخ. كما نبه دي سوسير إلى نوع آخر من العلاقات الترابطية يلخصها في الشيء المشترك الذي يجمعها

[1] - DE Saussure, op.cit p 123.

كالجذر مثلا أو البنية أو تشابه المدلولات؛ نحو: فِكر ⟵ فكرة فكّر...الخ، و: العالم ⟵ الطالب ⟵ العامل، و: النور ⟵ الضياء الوضوح، وبهذا فالعلاقة الترابطية تجمع بين وحدات لغوية حاضرة في المتوالية اللغوية الحاضرة وبين وحدات لغوية غائبة مستقلة بذاتها، أو في متوالية لغوية غائبة هي الأخرى[1]، وما ينطبق على الجملة وعناصرها ينطبق على الكلمة وعناصرها.

رابعا: ثنائية الآنية والزمانية:

سادت اللسانيات التاريخية قبل سوسير ردحا من الزمن، وهي التي كانت تتناول التغيرات التي تطرأ على لغة ما عبر حقب متتالية، وهذا ما جعل منهج الدراسة يمتاز بالحركية والتطورية.ولأهميته في الاهتداء إلى حقائق علمية معينة عن اللغة فإن دي سوسير لم يرفضه ولم يلغه، بل كان يرى فيه قصورا للاهتداء إلى حقائق حقيقية عن اللغة، فاقترح منهجا آخر يحصر دراسة أي لغة من اللغات دراسة وصفية في نقطة زمنية معينة؛ أي دائرة الزمن فيه مغلقة وليست مفتوحة كما كانت عند غيره، وبهذا يكون دي سوسير قد أضاف شيئا جديدا في الدراسة اللغوية كمّل به ما كان سائدا ؛ فإذا كان المنهج السابق (الزماني) يتتبع المسار اللغوي لظاهرة لغوية معينة عبر الزمن من البداية إلى النهاية ويدرس التغييرات والتحويلات التي تطرأ على بنيتها في فترات متعاقبة وما يحيط بها من ظروف وملابسات ظرفية، وتحلل بناء على التطور الدائم الذي يمسها، فإن الدراسة التي اقترحها سوسير تدرس البنية اللغوية وتصف نظامها اللغوي بجزئياته في زمن معين ، وشتان بين المنهجين لذا لا يجب إهمال أحدهما في دراسة اللغة أو الخلط بينهما عند تناولها

[1] – DE Saussure, opcit. p 123

بالدراسة؛ ليس لأن لكل منهج مبادئه فحسب، بل لأن لكل منهج هدفا يحققه لا يستطيع تحقيقه المنهج الآخر، فإذا كان الأول يدرس تاريخ اللغة فالثاني يدرس حقيقة اللغة، وهذا الذي يفتقر إليه الدرس اللغوي قبل سوسير. وحتى يبرهن على صحة ما ذهب إليه ضرب لنا مثلا المقطع العرضي والمقطع الطولي اللذان يحدثان في غصن نبتة معينة[1]؛ فالمقطع الطولي ينقل معلومات جزئية عن النبتة باعتبار ما قد تحجبه الألياف المتقدمة عن تلك الواقعة وراءها، بخلاف المقطع العرضي الذي يمنح لنا فرصة إظهار الألياف وترتيبها الخاص والعلاقة القائمة بينها؛ بمعنى المقطع العرضي هو الذي يمنح لنا المعرفة الدقيقة للبنية النباتية في مرحلة معينة من النمو وذلك بمقارنة مختلف الأجزاء المكونة لها وعلاقة بعضها ببعض لتوضحها جميعا، كذلك اللغة فالدراسة الآنية أكثر كشفا عن اللغة وأدق نقلا لحقائقها والعلاقة الرابطة بين أجزائها، من هنا رأى أن موضوع علم اللغة هو وصف كل شيء يرتبط بالجانب السكوني للغة في فترة زمنية معينة. وماكان دي سوسير ليصل إلى جملة هذه المقترحات لولا دراسته الجادة والمتأنية لما سبقه من درس لغوي وإلمامه بمراحله.

مراحل تطور البحث اللساني:

إذا وكما تقدم فالبحث اللساني الحديث بدأ مع العالم اللساني السويسري فرديناند دي سوسير في كتابه المشهور(cours de linguistique générale) " دروس في اللسانيات العامة" ضم محاضرات في اللغة، أشرف على نشرها وبيان مضمونها

[1] – DE Saussure, Ibid. pp 87,88

تلمذاه " ألبارسيشهاي " و" تشارل بالي "[1]. وقد ألم بالمراحل الثلاثة للدرس اللساني الحديث وهي:

1-**مرحلة النحو" Grammaire"**: يرى ديسوسير أن هذه المرحلة بدأت بتلك الجهود المنسوبة إلى اليونان، ثم استكملت بجهود الفرنسيين، ولا سيما ما نجده واضحا وجليا في نحو" بور روايال" " PorteRoyal"، هذه الدراسة الأخيرة قائمة على المنطق وإجراءاته التطبيقية، وهي تنكب على الإنجاز الفعلي للحدث الكلامي؛ أي على المنطوق بابراز العلاقات النحوية الصحيحة من الخاطئة .

2-مرحلة الفيلولوجيا " philologie": ترتكز هذه الدراسة على دراسة وتفسير النصوص القديمة المكتوبة باللغتين (اليونانية، واللاتينية)، ومن خلال هذا فهي تهتم بالجانب المكتوب وتهمل المنطوق، وبهذا اللغة هنا لا تعتبر غاية بل وسيلة، وبهذا تكون قد أهملت الجانب الاجتماعي من اللغة وهو الاستعمال وقواعده .

3-**مرحلة الفيلولوجيا المقارنة(La philologie comparé)**:وتبدأ هذه المرحلة من خلال استكشاف الأوروبيين العلائق الموجودة بين اللغات القديمة وهي "السنسكريتية واليونانية واللاتينية وغيرها"ومن ثم كان البحث اللساني هدفه الوحيد البحث عن الصفات المشتركة الموجودة بين هذه اللغات الثلاثة سواء ما يتعلق الأمر بالجانب الصوتي أم الصرفي أم التركيبي أم الدلالي[2]، واستمر حال الدرس اللغوي على هذا الحال إلى أن جاء دي سوسير بمقترحاته.

[1] – ينظر مقدمة الكتاب، والشروح والتعليقات في آخره والتي مست الكثير من الحقائق المذكورة في المحاضرات.

[2]-ينظر: أحمد حساني، مباحث في اللسانيات، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر: 1994.

المحاضرة الثالثة

حلقة موسكو

- رومان جاكسبون*: (Roman Jakbson): 1896-1981:

بعد أن وقف المهتمون طويلا عند عناصر التّواصل الّتي أشار إليها دي سوسير وتناولها بكثير من الصّراحة رواد نظريّة الإعلام والاتصال، هناك من أمعن النّظر في تحديد وظائف هذه العناصر وحيثياتها، وأبرز من استوقفهم الحال عند ذلك هو رومان جاكسون، فمن باب دراسة اللّغة بكامل تنوّع وظائفها، اتّخذ من تحديد عناصر التّواصل عملا إجرائيّا لذلك وضروريّا لبلوغه انتهى به في آخر المطاف إلى تصميم مسار التّواصل الكلامي بعناصر جديدة جسّده في التّرسيمة التّالية[1]:

المرجع

المرسل.....رسالة.....المرسل إليه

قنـاة

سنن

من المخطط يتبيّن أنّ كلّ فعل تواصلي يتكوّن من ستّة عناصر هي:

1- المرسل: هو أوّل من ينشئ التّواصل، والمنبع الأوّل لكلّ رسالة.

*رومان أوسيبوفيتش جاكسبون Roman Ossipovitch Jaksbon لغوي روسي، أدى دورا هاما في نشأة مدرسة الشكلانيين الروس، وساهم مساهمة فعالة في تأسيس حلقة براغ اللسانية 1926، من أهم ما جاء به نظرية وظائف اللغة الست.

[1] Roman Jaksbon, Essais de linguistique générale, tra Nicolat Ruet les èditions de minuit, paris, 1963, p214.

2- المرسل إليه: هو المستقبل لرسالة المرسل، والمنشّط للتّواصل، فلولاه ما وجد المرسل بالقوّة بعد أن وجد بالفعل.

3- الرسالة: هي الحمولة الإخباريّة لذاك التّواصل الّذي جمع بين المرسل والمرسل إليه، والمفعّلة له.

4- القناة: وهي الوسيلة الّتي يختارها المرسل والمرسل إليه لتكون الحامل الأمين للرّسالة الّتي تنتقل بينهما.

5- السنن: هو نظام يعتمده المرسل في تركيب رسالته، وعليه يعتمد المرسل إليه في فك نفس الرّسالة عند استقبالها، حتّى يهتدي إلى الحمولة الإخبارية الّتي تحتويها.

6- المرجع: وهو ما تومئ إليه الرّسالة في الواقع وعليه تنوب؛ بمعنى هو "الشّخص أو الموضوع الّذي عليه نتحدّث"[1].

من خلال استقراء عناصر التّواصل الكلامي الّتي حدّدها وحكم عليها بأنّها غير متغيّرة، يمكن لنا أن نستخلص مجموعة من العناصر الجوهريّة منها:

أخذ جاكسبون عناصر من غيره، ولاسيما سوسير عليها بنى دورة تواصله الكلامي، بداية بالقدرة على التّركيب، والإرسال، والاستقبال، والتّفكيك، والعناصر المشغّلة لهذه القدرة؛ إذ نجد عنده المرسل والمرسل إليه وبمصطلح سوسير (المتكلم والمستمع)، العنصر الرابط بينهما وهو الرّسالة أو (الصّورة السّمعيّة) المنطلقة من المتحدّث (أ) إلى السّامع (ب) وهكذا.

إذا كان تأثّر جاكبسون بسوسير غير ملفت للانتباه "فما اللّسانيات الوظيفية إلاّ فرع من فروع البنويّة" ، فإنّ المثير في الأمر هو تأثّره بنظريّة الإعلام والاتصال، ويظهر ذلك في توظيفه الصّريح لمصطلحاتها، فمصطلح **(Emetteur**،

[1] Jean Lohisse, la Communication de la trammission a la relation, Belgique, De Bock Université 1ed, 2001, P47.

Récepteur، Code، Canal) هي أقرب ما تكون إلى حقل الفيزياء والإلكترونيك، وفي الوقت نفسه تحدّد طبيعة الرّسالة، وهذا بالرّغم من نعت عمله بالتّواصل الكلامي، وقد تكون في الوقت ذاته إشارة إلى توسيع من طبيعة الرّسالة موضوع البث، ولعلّ هذا ما جعله يصف هذه العناصر بأنّها ضرورة وغير متغيّرة لكلّ عمليّة تواصل، وليس هذا فحسب فيمكن أن نضيف تأثّره بمنهجيتهم في التفكير كما ذهب إلى ذلك بعضهم[1] حين قطع جاكسون في ذلك الشكّ باليقين عند إقراره بذاك التّكامل المعرفي بين اللّسانيات والنّظرية الرياضيّة للتّواصل ونظريّة الإعلام. ولكن ما أسّس جاكسون دورة التّواصل الكلاميّة وما حدّد عناصرها إلاّ ليوضّح وظيفة هذه العناصر في المجال التّواصلي؛ إذ يرى إنّها "...تتكامل وتتلازم ليحصل التّخاطب البشري، لكن كلما أولى النّقاد عنصرا من العناصر أهميّة تفوّق ما يولونه لغيره كانت وظيفة الكلام مركزّة على ذلك العنصر البارز"[2] وهذا ما يبيّن أنّ وظائف عناصر التّواصل تتمايز عن بعضها، والتّركيز على عنصر معيّن أثناء تنشيط الكلام من المرسل والمرسل إليه، يجعل وظيفة ذاك العنصر هي الّتي تطفو على دورة التّخاطب.

وعليه أتمم تصميم عناصر التّواصل بتصميم الوظائف الخاصة بكلّ عنصر والترسيمة التّاليّة تظهر ذلك[3]:

[1] للتعمق أكثر ينظر: نور الدين رايص، نظرية التواصل واللسانيات الحديثة.
[2] الهادي الجطلاوي،مدخل إلى الأسلوبية، تنظيرا وتطبيقا، ط1. الرباط: 1992، عيون، ص18
[3]Roman Jakobson, Essais de linguistique générale,p220.

الوظيفة المرجعيّة
الوظيفة الشعرية

الوظيفة التّعبيريّة	الوظيفة الإفهامية

الوظيفة التوصيلية

الوظيفة ما فوق لغوية

فحسب جاكسون فإنّ كلّ عنصر تواصلي يولّد وظيفة لسانية متميّزة، أهميّتها لا تقلّ عن العنصر المولّد لها. وقد جاءت عنده بحسب عدد العناصر وهي:

1- الوظيفة التّعبيريّة **(Fonction Expressive)** أو الانفعاليّة **(Emotive)** وهي وظيفة تتمحور حول المرسل وعليه تركز، ناقلة موقفه وعواطفه تجاه الموضوع المتحدّث عنه، "ويتجلّى ذلك في طريقة النّطق مثلا، أو في أدوات تعبيريّة تفيد الانفعال كالتأوّه أو التعجب، أو دعوات الثلب أو صيحات الاستنفار"[1]، وللّغة المنطوقة الحظّ الأوفر في تجسيد هذه التّعابير المتباينة، لما توفّره من آليات تعبيريّة في كثير من الأحيان غائبة في اللّغة المكتوبة. ومهما كانت طبيعة اللّغة المعبّر بها عن المواقف الانفعاليّة فإنّ دور هذه الأخيرة يتجلّى " في ضبط الميزات التعبيريّة المنسجمة مع طبيعة رسالة ما في وضع خطابي معيّن"[2]، وبذلك لم تكن المواقف الانفعاليّة هي المنتجة للتعابير المعبّرة عن الذّات المرسلة فحسب، بل المحدّدة لاختلافاتها فكما يقال فإن جوهر الإنسان كامن في لغته لأنها المعبر عن أحاسيسه

[1] عبد السلام المسدي، الاسلوبية والأسلوب، ط2. تونس: 1982م، الدار العربية للكتاب، ص158.
[2] الطاهر بن حسين بومزبر، التواصل اللساني والشعرية، مقاربة تحليلية لنظرية رزمان جاكبسون، ط1. الجزائر: 2007م ، منشورات الاختلاف.

ومهما حاول جاهدا إخفاء عواطفه كشفتها نبرات صوته وتلوينات وجهه، وهذه الأساليب ودلالاتها قاسم مشترك بين المتواصلين من ثقافة واحدة؛ وبذلك تتنوّع التلوينات التّعبيريّة بتنوّع التّلوينات الانفعاليّة وبها تتفرّد الذّات الباثة وتتعيّن بالضمير الدّال عليها "أنا".

2-الوظيفة الإفهاميّة(**Fonction Conative**) أو التّأثيريّة(**Impressive**): وهي وظيفة تتمحور حول المرسل إليه وتطفو على الكلام وتميّز الخطاب، إذا كان التركيز على مولّدها غالبا على العناصر الأخرى المكوّنة للتّواصل الكلامي، ولما كان الآخر (المتلقّي للخطاب) هو المقصود بالرّسالة، لا مناص أن تستنفر جميع العناصر الأخرى لتتآزر مساهمة في تغيير سلوكه ونقله من هيئة إلى أخرى. وفي هذه الحالة " فالعناصر الخمسة الأخرى ثانويّة تقوم بدور الوسيط بينما العنصر الرئيسي في مثل هذه المسائل هو المرسل إليه[1]' الّذي ينتظر منه إنجازا يريده المرسل بتلقّي خطاب يتحدّد " تعبيره النحويّ الأكثر صفاء في النّداء والأمر اللّذين يبتعدان من وجهة نظر تركيبيّة وصرفيّة وحتّى صوتيّة في الغالب عن المقولات الاسميّة والفعليّة الأخرى"[2] لما تملكه من قوة تأثيريّة تكون لا محالة عاملا من عوامل إظهار موقف المرسل إليه تجاه الموضوع المتحدّث عنه، من خلال ذلك الانجاز الّذي يعقب جملة الأمر مثلا. وحتى صيغة الأمر نفسها فلا تستمد دلالتها إلاّ من المرسل إليه؛ إذ هو الّذي يحدّد الاستلزام الحواري للخطاب، إلزاما كان أم التماسا أم دعاء أو غيرها.

3-الوظيفة الانتباهيّة **La Fonction phatique**: تتمحور هذه الوظيفة حول القناة وتتمظهر في السلوك الحواري لكلّ من المرسل والمرسل إليه وذلك باستعمال ألفاظ وتعابير بسيطة يكثر تواترها في الحياة اليوميّة هدفها تثبيت التّواصل والتأكّد من استمراره، استعمالها العفوي في مثل هذه المواقف يقلّل من حضور العقل في اختيارها لإقامة التّواصل والحفاظ عليه مقارنة بالرّسالة موضوع الخطاب، لأنّها

[1] الطاهر بومزبر، التواصل اللساني والشعرية ، ص43

[2] ROMAN JAKOBSON.idem.p216

تحضّر في الخطاب بنفس الصيّغ والكيفيات بالرّغم من اختلاف الرّسائل، من أجل هدف واحد هو التأكّد من أنّ القناة سليمة وسلسلة الرّسائل الموجّهة مستمرّة في المرور كأن نقول "ألو، أتسمعني؟ ...قل أتسمعني؟"[1] وغيرها كثير في حياتنا اليوميّة.

4-الوظيفة المرجعيّة **(La Fonction Référentielle)** أو المعرفيّة **(Cognitive)** أو الإيحائية**(Démotive)**: كلّ رسالة منقولة من المرسل إلى المرسل إليه إلاّ وقوامها اللّغة، والوظيفة المرجعيّة تميّز كلّ رسالة من باب"... أنّ اللّغة فيها تحيلنا على أشياء وموجودات نتحدّث عنها، وتقوم اللّغة بوظيفة الرمز إلى تلك الموجودات والأحداث المبلّغة"[2] وتشير إليها تستحضرها في إيحاء لدى المرسل والمرسل إليه.

5-وظيفة ما وراء اللّغة(**La fonction métalinguistique**): وتتمحور هذه الوظيفة حول القوانين اللغويّة الّتي نسج بها الكلام في جانبيه المعجمي والنحويّ ،وما ينتج عنهما من متوالية تنتج بدورها مفهوما تدفع المرسل والمرسل إليه إلى الاستفسار عن المفهوم المراد والتأكّد منه بالعبارات التّالية: " ماذا تعني؟... هل أنت تفهم عني ما أقول؟... أليس كذلك..."[3] بمعنى أنّ هدفها هو تعيين على وجه الدّقة ما يريده المرسل أن يثبتّه في ذهن المرسل إليه كمفهوم جراء غياب ذلك بعد الشحنة الإخباريّة الأولى الّتي جاء بها النموذج التركيبيّ الأوّل. لتصبح اللّغة ودون شعور هي موضوع التّحليل، فنجد المرسل والمرسل إليه يستفسران عنها عفويا من خلال الرّسائل المتبادلة.

6-الوظيفة الشعريّة (**La Fonction Poétique**) تتمحور هذه الوظيفة حول الرّسالة من حيث هي كذلك، ومستهدفة لذاتها، فتكون بذلك "غاية في حدّ ذاتها لا تعبّر إلاّ عن نفسها فتصبح هي المعنيّة بالدّرس"[4]، بإظهار مميزاتها الجماليّة الّتي

[1] ROMAN JAKOBSON.idem. p217

[2] عبد السلام المسدي ، الأسلوبية و الأسلوب،ص159

[3] عبد السلام المسدي، الأسلوبية والأسلوب، ص160

[4] المرجع نفسه، ص160

يتذوقها كلّ من المرسل والمرسل إليه. ولا تقوم لهذه[1] الوظيفة قائمة في أيّ خطاب إذا لم نتذوق جمالية الرّسالة.

ومن حيث هي وظيفة نسجّل إمكانيّة حضورها في كلّ أنواع الخطاب، لكن حضورها يتفاوت من خطاب لآخر؛ إذ تتفوّق في درجة الحضور على وظائف العناصر الأخرى دون أن تلغيها إذا كان الخطاب شعرا[2]، وهذا ما يستلزم منطقيا تراجعها في غير الخطاب الشعري لتكون ثانوية، وتحلّ محلّها وظيفة عنصر من العناصر التّواصليّة الّتي يكون عليها التّركيز دون سواها بغير إهمال للوظائف الأخرى.

ومما تقدم فإنّ كلّ وظيفة مرتبطة بعنصر محدّد " إلاّ أنّ ذلك لا يعني أنّ كلّ عنصر يستقل بوظيفة خاصّة... بل إنّ هذه الوظائف غالبا ما تكون متداخلة عبر النصوص وعبر الخطابات، وتبقى هيمنة وظيفة على عنصر دون آخر هي التي تراعى في التصنيف"[3] وبذلك فالتّواصل عند جاكبسون لا يقتصر على تحديد عناصر التّواصل فحسب، بل يكتمل بتوليد نفس العناصر لوظائف مختلفة تتكامل فيما بينها وتتلازم ليحصل التّخاطب*، وتصنّف وظيفة الكلام بحسب نوعيّة الوظيفة المهيّمنة لعنصر من العناصر.

الإنجاز الذي قام به جاكسون ولا شك كان ذا أهميّة، من باب أنّه أضاف لبنيّة التّخاطب عناصر كانت تفتقر إليها البنيّات السّابقة. لكن وبالرغم من ذلك فإنّه لم يسلم من الانتقادات، وتعتبر كاترين كربرا أوركيوني(**Cathrine Kerbra Orecchioni**)** من أبرز من انتقد مخطّطه بالقول "إنّ هذا التّصوّر التّقليدي

---

[1] أحمد رايص،التواصل واللسانيات الحديثة،ص111

[2] ROMAN JAKOBSON.idem.p222

[3] ميلود حبيبي،الاتصال التربوي و تدريس الأدب، ط1.الغرب: 1993المركز الثقافي العربي، ص57

* تحديد هذه الوظائف؛ جاكبسون نفسه يقر بأنه أكمل ما جاء به بوهلر، للتعمق أكثر ينظر:

-ROMAN JAKOBSON.idem.p216

- رومان جاكبسون ، قضايا الشعرية،ص30

** كاترين كربرا أوركيوني : مفكرة يوغسلافية اهتمت بالتواصل وحيثياته .

المأخوذ من النّمط التلغرافي، هو تصور أحادي الجانب وذو طبيعة خطيّة"[1]، هذا التّصريح من جهة إشارة إلى أنّ جاكبسون لم يكتف بالتّأثّر بنظريّة الإعلام والاتّصال بل وقع أسيرا لها، ومن جهة ثانية إشارة إلى حقيقة اللّغة عنده الّتي لا تعدو أن تكون "إلاّ مجموعة من الرّموز المنتظمة وقائمة مغلقة من العلامات على الفرد أن يختار منها ما يناسبه حسب احتياجاته"[2]، والواقع خلاف ذلك، فلا يمكن أن نتصوّر تحقّق فعل كلامي خارج نظام اجتماعي، ونفسي، ولغوي، أو عزل تعسّفي للرّسالة عن فاعليها. وعنصر الثّبات الّذي وصف به عناصر تواصله الكلامي حقيقة لا يضمن ثباتها؛ إذ المرسل[3] ليس دائما هو من ينتج أو يحرّر كلاما، وإن كان كذلك في ظرف من الظروف، فهو لا يتكلّم بالطريقة نفسها كلّ الوقت بل تغيّرها دائم. ومهما اتّحد السّنن بين فاعلي القول ففي المسافة الّتي تفصل بين عمليتي تكثيف السّنن وتفكيكه لا شيء يضمن أنّ المعنى يبقى هو هو لا يخضع لتغييرات؛ إذ "كلّ كلمة تعني ما أريد أن تدل عليه ولكن في نفس الوقت كل كلمة تعني ما تريد أن تعني (لها معنى في اللغة)"[4] وهذا ما يشير إلى أنّ فاعلي التواصل وإن التزما بنفس المعنى اللّغوي لكلمة ما في خطابهما، فليس معنى هذا أنّ التّصوّر الّذي يستقرّ في ذهن المتلقي هو نفسه الّذي يريده الباث، من باب التفاوت في القوّة والاختلاف في القدرة الوظيفيّة؛ فالأول ينتج والثاني يؤول، وبذلك " ليس صحيحا إذن أن نتصوّر أنّ المرسل شخص يختار بكيفية حرّة، هذا أو ذاك من الوحدات المعجمية، هاته أو تلك من البنيات التركيبية في مخزونه من العناصر اللغوية... بل هناك قيود تظهر وتشتغل مصافا، تحد من إمكانيات الاختيار"[5]، قيود ذات صلة بالخطاب ككل ولاسيما فاعليه تحدّد أبعاده ومعالمه، لأنّ التواصل البشري تميزه خاصية التعاونية "وهذا ما يؤكّد على الطابع التبادلي للخطاب بين

---

[1] عمر بلخير ، تحليل الخطاب المسرحي في ضوء النظرية التداولية، ط1. الجزائر : 2003 منشورات الاختلاف، ص36 نقلا عن :
C.K.ORECCEHIONI. énonciation de la subjectivité dans le language.pp11-31

[2] عمر بلخير ، تحليل الخطاب المسرحي في ضوء النظرية التداولية،ص36

[3] BAYLON CHRISTIAN . XAVIER MIGNOT1999 la communication. Nathan. paris .2édi .p80

[4] ك. أركيوني،فعل القول من الذاتية في اللغة/ تر:محمد نظيف،د ط. المغرب: 2007 إفريقيا الشرق، ص20

[5] المرجع نفسه ، ص 23.

المتكلمين أو لنقل الطابع التبادلي للغات البشرية"[1]، وهذا ما من شأنه أن يمنح التفاعل فرصة بالقوة حتى يتخذ لنفسه مكانا في التخاطب عند المتواصلين بكفاءات لسانية أو خارج لسانية، تفاعل تغذيه[2]الخواص النفسية والكفاءات الثقافية المميزة للباث والمتلقي على حدّ سواء، وعلى هذا أقامت كـ.أركيوني تعديلها لمخطط جاكسون مقترحة المخطط التالي[3]:

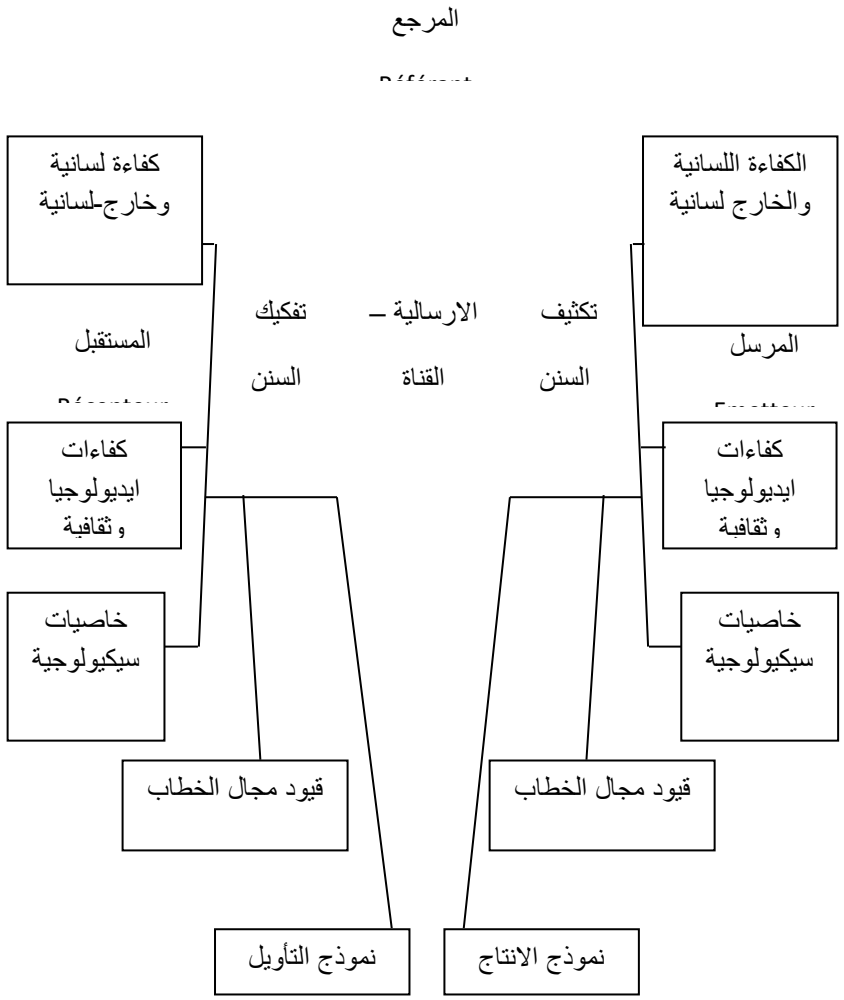

مخطط التواصل عند ك. أركيوني.

[1] ك. .أركيوني ، فعل القول من الذاتية في اللغة ، ص23.

[2] ك.أركيوني ، فعل القول من الذاتية في اللغة ، ص24.

[3] المرجع نفسه ، ص26.

ويلاحظ أن كـ. أركيوني أمعنت الاهتمام بفاعلي التواصل من حيث القدرة الذهنية التي يمتلكانها، وتشعب مرجعياتها، وتوظيف كل ذلك في تكثيف السنن وتفكيكه، واستعانهما بالعوامل اللغوية وغير لغوية في تنشيط الخطاب.

لكن قائمة الوظائف التي فتحها جاكسون لم تتمكن كـ. أركيوني من غلقها؛ إذ ما أضافته هي لتصميم جاكسون لقي هو الآخر انتقادا من غيرها.

المحاضرة الرابعة والخامسة

مدرسة براغ

المتتبع لمسار الدرس اللساني سيدرك لا محالة أن عشرينيات القرن الماضي كانت ثرية من حيث تناول اللغة بالدراسة، وعلى سبيل المثال لا الحصر فقد شهد عام 1926م بروز نشاط فيلام ماثيسيوس(عالم في اللسانيات، متضلع في اللغة والأدب الإنجليزي، شغل منصب أستاذ اللغة الإنجليزية في جامعة كارولين الأمريكية من بين أهم الأبحاث التي قام بها استعمال الدراسة الوظيفية للتمييز بين النحو والأسلوبية) وبعض مساعديه في تأسيس نادي براغ اللساني، وهو نفسه الذي أشتهر في ما بعد بمدرسة براغ ، أو المدرسة الوظيفية.

ولم ينكر الدارسون أن المرجعية اللغوية لهذه المدرسة هو كتاب محاضرات في اللسانيات العامة لدي سوسير الذي كان له الأثر البالغ على ظهور هذا النادي.

وقد انبنت دراسة هذه المدرسة للغة على نقطة جوهرية مفادها أن دراسة اللغة يجب أن تدرس وفق نظام كلي يشمل مستوياتها المختلفة؛ الصوتية، الصرفية،النحوية والدلالية، من خلال ما تؤديه هذه العناصر من وظيفة. لذلك إذا كان دي سوسير يرى أن اللغة نظام من العلامات فإن أقطاب هذه المدرسة ترى أن اللغة نظام من الوظائف. فلا عجب بعدها أن تظهر على مجهودات أقطابها مجالات معرفية بحثية أهمها: الصوتيات الوظيفية بنوعيها : الآنية والتاريخية، التحليل الوظيفي والعروضي وتصنيف التضاد الفونولوجي، الأسلوبية اللسانية الوظيفية، دراسة الوظيفة الجمالية للغة ودورها في الأدب والمجتمع والفنون[1]. ومن أقطاب هذه

[1] أحمد مومن، اللسانيات النشأة والتطور، ص136.

المدرسة والتي كان لها الأثر والأثر البالغ في رسم الخطوط العريضة لمسار دراساتها المتميزة هم:

1- نيكولاي تروبتسكوي: ينحدر من عائلة النبلاء الروس، نبغ وهو في ريعان شبابه في الكتابة والتأليف في ما له علاقة باللغة وما ساعده على ذلك والده الذي كان أستاذا فعميدا لجامعة موسكو ، تردده المستمر على حلاقات العلم والمعرفة في سن مبكرة ولا سيما الجلسات الدراسية التي كانت تنظمها الجمعية الإثنوغرافية لموسكو، انتهى به المطاف أن نشر مقالين وهو في سن الخامسة عشر، وتوسعت اهتماماته لتمتد إلى الأثنولوجيا، علم الإجتماع، الفلسفة والتاريخ، وبعد تدرجه الأكاديمي في العلم والمعرفة عين استاذا بجامعة موسكو بعد مناقشة أطروحته حول مستقبل اللغة الهندو أوربية عام 1916م، وعند اندلاع الحرب العالمية الأولى انتقل إلى عدة مدن روسيا وبعدها إلى القسطنطينية إلى أن استقر به المقام في فيينا حيث عين في كرسي الفيلولوجيا السلافية حيث أتيحت له الفرصة ليكون عضوا بارزا في نادي براغ اللساني إلى أن وافته المنية عام 1938 ومن بين أبرز ما ألف كتاب قيم عن نظرية الحضارات باللغة الروسية، مبادئ الفونولوجيا.

ومن جملة آرائه العلمية:

- اعتبار الفونيم مفهوم وظيفي، وهو وحدة فونولوجية لا تقبل التجزيء إلى وحدة أصغر منها في لغة معينة.

- دراسة دور الأصوات الكلامية في أداء الوظيفة التمثيلية للغة؛ وسماه بالفونولوجيا.

- دراسة دور الأصوات في أداء الوظيفة التعبيرية والوظيفة الندائية، وسماه بالأسلوبية الصوتية ويعني به دراسة الوظيفة التعبيرية للأصوات الكلامية.

– أولى عناية هو والفريق الذي معه إلى العلاقات الاستبدالية بين الفونيمات في لغة من اللغات وفي نقطة معينة من التركيب الفنولوجي معوضا بها العلاقات الركنية التي تحدد كيفية تنظيم الفونيمات في وحدة من وحدات اللغة، متخذا من المعنى مقياسا لتحديد طبيعة الفونيم من ذلك:

*– تبادل صوتين ولم يتغير المعنى: فهما صورتان اختياريتين في التأدية لفونيم واحد نحو مسيطر تكتب بالسين وتنطق صادا. قلب تنطق عند البعض ألب أو كلب، لكن المعنى يبقى ثابتا لا يتغير بتغير الأداء.

*– تبادل صوتين مع تغير في المعنى: فهما فونيمان مختلفين لا يستطيع أن يحل أحدهما مكان الآخر وإذا حدث يتغير المعنى؛ نحو: –جاء – ناء – باء.

ومن هذا تتبين لنا الوظيفة المميزة للفونيم التي سعى تروبتسكوي ورفاقه إظهارها.

2– إميل بنفنست: (E.Benveniste) [*] (1902– 1976)

يتخذ عمل بنفنست ركنا مكينا في المدرسة الوظيفية، ليس من باب أنه دعم ركائزها مؤسسا فحسب، بل لكونه تجاوز المجال الذي إنبنى عليه الفكر الوظيفي عند غيره من المؤسسين أنفسهم، بحيث ربط بنفنست دراساته بالفلسفة اللغوية، ويعتبر ولاسيما من خلال مقالة "الجهاز الشكلي للتلفظ(**L'appareil Formale de l'enonciaton**)[1] أول من أسس نظرية التلفظ[**]، إذ في ذات المقال عرض

[*] **إميل بنفنست**:لساني فرنسي من اهتماماته النحو المقارن ، المعجمية وكل ما له صلة باللسانيات .يعتبر عند المختصين من مؤسسي لسانيات التلفظ.جمعت أعماله في أهم كتبه : problème de linguistique générale في جزأين عام 1966 . أعيد طبعه عدة مرات.

[1] EMIL BENVINISTE problème de linguistique générale T2 Gallimard paris 1974 p79

[**] نظرية التلفظ: théorie de l'énonciation
هي نظرية حديثة النشأة تجاوزت في دراستها للغة التفريق بين اللغة والكلام .انصب اهتمامها على دراسة الكلام، والمتكلمين المتفاعلين حال الخطاب وما يحيط بهم من ظروف اجتماعية، ثقافية ، نفسية .استعانت بعلوم شتى ولاسيما المرتبطة بالإنسان وعلاقته بالمجتمع والعالم.

أفكارها وحدد أسسها، ويكون بذلك قد دفع المهتمين باللغة إلى ضرورة الالتفات بالدراسة إلى تَمَظهُر تَتَمَظهَر عليه اللغة ألا وهو التلفظ.*

فإذا كانت اللغة ظاهرة عامة، وهي نظام من العلامات والصيغ؛ أي قوالب ثابتة وعلى هذا الأساس تناولتها اللسانيات البنوية بالدراسة، فإن التلفظ ينفلت من هذه الدائرة المغلقة ليتأسس حدثا فرديا وظاهرة خاصة يصعب على العلم الواحد دراسته، وفي هذا يؤكد دي سوسير: "إن نشاط المتكلم ينبغي أن يقوم بدراسته عدد من العلوم وإن لم يكن لها مكان في علم اللغة إلا بقدر علاقتها به"[1] لأن التلفظ يتحقق في صور لا حصر لها، لدراسته من الأحرى أن تتقاسمه علوم شتى، لها صلة بإنتاج الكلام وما يحيط به، فإذا كان الكلام المنطوق مرتبطا بوجود اللغة باعتبارها نظاما ونماذج ارتسمت في ذهن الجماعة التي تتكلم بها، وبدونها لا وجود لأي كلام " فإن الكلام يضمن الحياة لهذا النظام الذي هو اللغة "[2] فبممارسة الكلام تستمر اللغة من خلال ما يتداوله الناس يوميا لتأدية أغراضهم وهذا الفضل مدعاة إلى إيلائه مكانة في الدراسة اللغوية التي مست النظام والنماذج لأنه "...ينبغي أن نقتنع ونسلم أن الكلام هو الذي يجسّد نظام اللغة ولا يمكن التوصل إلى معرفتها دون معالجة الكلام"[3] وبذلك فالكلام أضحى وسيلة لا يمكن الاستغناء عن دراستها ومعرفتها إذا أردنا معرفة اللغة.

وبذلك يكون بنفنست قد فتح مجال البحث في لسانيات التلفظ بداية بتجاوز الإطار البنوي المقتصر على البنية والمتكلم المستمع المثالي المعزول عن الأوضاع الاجتماعية والنفسية، لينمو الاهتمام بما ينتجه المتكلم العادي بحضور سامع وموقف يستدعي الكلام ويحدد المتخاطبين. فعرّف التلفظ بقوله: " التلفظ هي تلك

* التلفظ:نشاط كلامي محقق من طرف المتخاطبين في اللحظة التي يتخاطبان فيها.

[1] فرديناند دي سوسير، دروس في اللسانيات العامة/ تر: صالح القرمدي و آخرون، د ط. تونس:1985 الدار العربية للكتاب، ص29.

[2] ANRICO ARCAINI, principes de linguistique appliquée, bibliothèque scientifique, paris,1972,p59

[3] A.MARTINET,élément de linguistique générale,Armand colin,paris,1970,p25

الإحالة الوظيفية للغة عن طريق فعل فردي في الاستعمال"[1] وهو عنده آلية شاملة ومستمرة تنتاب اللغة كلها، ضمن فعل تواصلي معين، وهو فعل فردي يحتوي على مجموعة من العمليات التي يؤديها المتكلم" فالملفوظ شيء (المحتوى)، والتلفظ شيء آخر (الكيفية التي نقول بها)"[2] وما ذاك إلا إشارة إلى العلاقة القائمة بين المتكلم ولغته. والتي تصورها بنفنست في مظاهر ثلاثة هي[3]:

1- تجسيد صوتي للغة.

2- تحويل المعاني إلى كلمات.

3- تحليل التلفظ في تحققه المحض.

وعليه فهناك اختلاف جوهري بين اللغة كنسق من العلامات والاستعمال الفردي لهذه اللغة " فحين يمتلك الفرد هذا النسق ويستعمله فإنه يتحول إلى خطاب، وذلك بإخضاع العمليات اللغوية لعمليات تحيين من طرف الذات المتكلمة، في ظروف زمانية ومكانية"[4] هذا الاختلاف الكبير عيّن العلم الذي يتناول التلفظ بالدراسة فتموقعت لسانيات التلفظ آلية متميزة عن اللسانيات بمعناها العام، فعندما نذكر لسانيات التلفظ " فإنما المقصود هو العناصر التي تنتمي إلى اللغة وتتنوع دلالتها من كلام لآخر مثل: أنا، أنت، هنا، الآن..."[5] وهي عناصر تكتسب دلالات بتعلقها بمواقع خطابية وقولية بعد أن فقدتها* خارجها، في ذات الوقت شكل آلية تحول اللغة إلى خطاب أي من مجموعة من الأدلة الشكلية المنسقة في بنيات ونظام إلى مظهر من مظاهر نشاط هذه العلامات في التواصل الحي، ببساطة

---

[1] E.BENVINISTE,problème de linguistique générale,T2,p80

[2] JEAN LOHISSE, la communication,p175

[3] E.BENVINISTE,idem,pp80-81

[4] ميلود حبيبي ، الاتصال التربوي وتدريس الأدب، ص61

[5] DUCROT ET TODOROV,dictionnaire encyclopédique des sciences du langage, ed du seuil, paris,1972,p405

* بخلاف ما تراه أركيوني إنها أشكال فارغة في حقيقتها ،و ذلك من الناحية المرجعية فقط، أما من الناحية الدلالية فلكل ضمير دلالة يعيّنها الأشخاص أثناء الإشارة إلى أنفسهم أو إلى غيرهم أثناء الخطاب ، فلو ما كان للضمير مفهوم كما لم يكن له موضوع لتعذرت الترجمة من لغة لأخرى . وهذا ما يؤكد وجودها في الواقع قبل أي تفعيل خطابي.

تحويل اللغة إلى أن تسلك منحى وظيفيا، ولا يتحقق لها ذلك إلا من خلال التلفظ الذي لا يمكن دراسته إلا من خلال دراسة المتلفظ (L'énoncé) كآلية إجرائية باعتبار هذا الأخير" هو الشيء الوحيد القابل للتناول "[1]من خلال ما يضمه من آثار ذاك التلفظ والتي اعتبرها بنفنست عناصر ضرورية لا يمكن للتلفظ الاستغناء عنها، منها:

1 – المرجع:

جعل بنفنست المرجع جزءا لا يتجزأ من عملية التلفظ، وهو لا يتحدد إلا بواسطة الخطاب الذي يفـّعله كل من المتكلم والمتلقي، وهذا ما يستوجب تقاسم القدرة على إدراك المرجع ذاته عند المتخاطبين في علاقتهما مع العالم الخارجي، متجاوزين به عالم الأشياء إلى عالم الثقافة والتجربة بها ترسم المعالم الحقيقية للخطاب وتحدد أبعاده، وهذا ما يستوجب إيلاء الاعتبار التدريجي لفعل التلفظ نفسه وللأحوال التي يتحقق فيها ولوسائل إنتاجه.

2 – المتكلم / المتلقي:

يجعل منهما بنفنست شرطا ضروريا لعملية التلفظ " فالكلمات لا تملك سلطة خلق الأشياء، بل تمثلها، على عكس ذلك ففعل نطق تلك الكلمات يمنح وجودا لمن ينطقها "[2] بمعنى أن المتكلم لا يتحقق وجوده إلا من خلال عملية التلفظ التي تتميز بكوها " عملية تملّك، فباعتبارها تحقيق فردي يعلن أثناءها المتكلم عن تموضعه عبر علامات خاصة من جهة، وعمليات ملحقة من جهة أخرى، إعلانا ينصّب به الآخر مقابلا له، أيا كانت درجة الحضور التي يمنحها له (للآخر) "[3]، وبذلك فعملية تموضع المتكلم لا تمنحه وجودا فحسب، بل أهمية لأنه المتحكم الأول في الخطاب انطلاقا من الملفوظ وما يخص به نفسه تفعيلا لوجوده وتثبيتا لمنزلته، وهو

[1] JEAN LOHISSE, la communication ,p175
[2] JEAN LOHISS, la communication,p177
[3] E.BENVINISTE,problème de linguistique générale,T2,p82

من هذه الجهة صانع أقوال(**Locuteur cripteur**)، ومن جهة أخرى هو صانع أشخاص، وجوده أوجد الآخرين معه (أنت، هو..) وبتحديده متكلما يتحدد المتلقي باعتباره هدفا، وهذا هو الإطار التمثيلي الذي يميز التلفظ ،" فكل عملية تلفظ هي حدث موجه مباشرة إلى ربط المستمع **Auditeur** بالمتكلم **Locuteur** برباط بعض الأحاسيس الاجتماعية أو غيرها"[1]، وبذلك يتحدد كل من المتكلم والسامع عنصرين من العناصر المكونة لعملية التلفظ.

3- الوحدات اللسانية:

يحتكم الملفوظ إلى وحدات لسانية وصفها بنفنست بالرئيسية وهي التي تشكل حسبه الجهاز الشكلي للتلفظ. لتحليلها من الضرورة بما كان العودة إلى المتكلم والمتلقي من باب التشارك في الخطاب، ومن بين هذه الوحدات:

أ – الضمائر: هي حاضرة باستمرار في التلفظ " فعلامة الشخص في ضمير (أنا) (أنت) لا تنتج إلا في التلفظ وبالتلفظ "[2] وباجتماعهما في الخطاب فرصة ليتشكل (الخطاب) في أدنى صوره، فإذا كان (أنا) يشير إلى الفاعل الأول للخطاب فإن (أنت) يشير إلى المستمع المتلقي له، في حال سجلا في العملية التخاطبية، أما خارجها فهما مبهمان حسب بنفنست، أما الضمير (هو) فعكسهما تماما، إذ يتحدد بغيابه عن الخطاب.

ب – أسماء الإشارة: لا تختلف في طبيعتها عن الضمائر بكونها تشير في لحظة تلفظها إلى شيء فـ " (هذا، هنا) مصطلحات تستدعي حركة لتعيين الشيء في نفس اللحظة التي ينطق فيها ذات المصطلح "[3]، ومن خلال هذا التحديد فهي خارج الخطاب لا تعدو أن تكون إلا مبهمات؛ إذ يغيب الشيء المشار إليه بها بغياب الخطاب الذي أوجدها هي. وفي الخطاب لا تكتفي دالة على الأشخاص والأشياء

[1] E.BENVINISTE,problème de linguistique générale,T2,pp87-88
[2] E.BENVINISTE,problème de linguistique générale,T2,82
[3] E.BENVINISTE,problème de linguistique générale,T2,p82

المادية، بل قد تشير محددة المكان باعتبارها ظروفا **(Adverbes)** أو أسماء إشارة **(Démonstratifs)** إذا كان الشيء المشار إليه بها دالا عليه.

ج- الزمن: Le temps

كل خطاب باعتباره حدثا لا يتشكل إلا في زمن معين يميزه عن الأحداث الأخرى، والزمن عند بنفنست تناوله بالاعتماد على علاقة المتكلم به. وقسمه إلى ثلاث أزمنة:

* **الزمن الطبيعي: Le temps physique:**

من صفاته الانتظام، اللانهائية، الخطية، كل شخص يشعر به ويقيسه بحسب انفعالاته وإيقاع حياته الداخلية؛ أي إنه ذاتي وموضوعي في آن.

* **الزمن التاريخي: Le temps Chronique:**

وهو زمن الأحداث التي تحيط أيضا بحياتنا باعتبارها متوالية من الأحداث، يسجلها الإنسان مؤرخا لحياته عبر الفواصل الزمنية التي مر بها من صفاته الذاتية والموضوعية.

* **الزمن اللغوي:**

لا يمكن اختزاله في الزمن الطبيعي أو التاريخي، لأنه يتفرد عنهما بكونه مرتبطا بتأدية الكلام، وإذ هو كذلك فإنه يتجلى في الحاضر،" فكل مرة يستعمل متكلم ما صيغة نحوية دالة على الحاضر أو ما يجعل الحديث مزامنا لحال الخطاب الذي يشير إليه "[1] وليس هذا فحسب، فحسب بنفنست كل الأزمنة تنتظم كليا بالنسبة للحاضر باعتباره النقطة المحورية في اللغة والملازم على الدوام لها؛ إذ والتعبير عن الزمن هو موضعة الحدث في مدار الزمن بالنسبة للحظة زمنية معينة

[1] E.BENVINISTE,idem,p73

(ز) مأخوذة كمرجع وفي ذات الوقت يمكن للزمن أن يساهم في تحديد المكان ليتآزرا وظيفيا في الخطاب مع ما تمنحه الضمائر وأسماء الإشارة في هذا الصدد.

ويضيف بنفنست وحدات أخرى تعلن على حضور المتكلم في كنف قوله، منها صيغ الاستفهام والأمر وما يصحبها من نبرة يؤدي بها الخطاب، كلها مجتمعة يلجأ إليها المتكلم حسب حاجته إليها، للتأثير في سلوك المتلقي بالرغم من أنها تختلف من مرسل لآخر أو نمط خطابي لآخر. ليتحدّد دورها حسب كـ.أركيوني[1] في تحويل اللغة إلى كلام، وبفضلها يتكوَّن الموضوع ويتبيَّن الفضاء الذي يتبلور فيه.

[1] ك. .أركيوني ، فعل القول من الذاتية في اللغة ، ص83.

المحاضرة السادسة:

مدرسة كوبنهاج

تعد مدرسة كوبنهاجن الدانمركية من المدارس التي تناولت دراسة اللغة دراسة علمية بمنحى رياضي، وهذا من بين العوامل التي أكسبها شهرة وبالرغم من أن بعض اللغويين لا يرونها ترتقي إلى مصاف كونها مدرسة إلا أن الكثير من اللسانيين الدانمركيين قد تأثروا بها.

واللافت للانتباه أن أصحابها أمعنوا صوغ العناصر اللغوية في رموز جبرية، وتراكيبها في معادلات رياضية، وهذا ما جعل دراساتهم تتزيا بمصطلحات غريبة دفعت بالمختصين باختلاف توجهاتهم العلمية وقناعاتهم الفلسفية إلى إحداث ردود فعل كثيرة تجاه هذا الطرح الذي أدهش المنشغلين في الحقل اللساني.

وما يجب الإشارة إليه بالرغم من الجديد الذي قدّمه أصحابها إلا أن الكثير من المهتمين لا يرون فيها إلا نظرية بطرح جديد تعرف باسم: الغلوسيماتيك (GLOSIMATICS) .

ويعد لويس يلمسلاف (LOUIS HJELMESLEV) أحد مؤسسيها(1899-1965)[1]، ولعل تأثره العلمي بوالده كان بينا من خلال تفاصيل الأسس التي أقيمت عليها أفكاره؛ إذ كان والده أستاذا لمادة الرياضيات بجامعة كوبنهاجن التي تقلد رئاستها بعد ذلك. إلتحق يامسلاف بجامعة كوبنهاجن عام 1916، بعدها غادر إلى بلدان عديدة لمزاولة دراسته، حيث درس بلتوانيا عام 1921 وببراغ عام 1923، ثم باريس مكث بها عامين كاملين واتصل في هذه الفترة بأنتوان ميي وفندريس وتابع محاضراتهما في اللسانيات من خلالها تعرف عن كثب على أفكار دي سوسير ومناهجه وهذا ما ساعده على إرساء دعائم نظريته الجديدة الغلوسيماتيك[2]. ومن

[1] أحمد مومن، اللسانيات النشأة والتطور، ص157.
[2] أحمد مومن ، اللسانيات النشأة والتطور، ص 157.

خلال أعماله يظهر أنه تأثر بعوامل عدة كونت شخصيته العلمية منها المنطق الرياضي الذي أخذه عن والده، والمناهج العلمية المنتشرة في زمانه. وتوج حياته بمنصب أستاذ اللسانيات في جامعة كوبنهاجن وظل يحاضر هناك حتى خلف بيدرسن سنة1937 في كرسي اللسانيات المقارنة.

نظرية الغلوسيماتيك:

خطت نظرية الجلوسيماتيك خطواتها الأولى في المؤتمر الدولي الثالث للسانيات الذي انعقد في كوبنهاجن عام 1936، بوضع مصطلح غلوسيماتيك للتداول(مأخوذة من جلوسام ومعناه اللغة باللاتنية)، ثم تبعتها خطوة أخرى بإنشاء يامسلاف وبرندال مجلة عام 1938، وبدأت تتوالى بعده أعمال مُعَرِفَة ومُؤَسِسَة إلى أن وصلت النظرية إلى شكلها الحالي ومن بينها المؤلفات التالية[1]:

1- مبادئ النحو العام.

2- محاولة في نظرية المورفيمات.

3- مقدمة في نظرية اللغة.

وهذا ما جعل تأثيرها يتسع إلى لسانيين آخرين حتى خارج الدانمارك، كالولايات المتحدة الأمريكية مثلا.

وكما قلنا فإن هذه النظرية أسسها قد قامت على مبادئ رياضية ومنطقية، وهذا ما جعلها تتميز عن باقي النظريات بالتجريد بهدف وصف النصوص لفهمها من خلال مقدمات منطقية.

[1] أحمد مومن ، اللسانيات النشأة والتطور، ص 158.

ومقارنة بغيرها من المدارس اللسانية فقد استبدلت عديد المصطلحات اللسانية عند غيرها بمصطلحات أخرى؛ فمصطلح المورفام أو اللفظم أصبح يقابله حسب مدرسة كوبنهاجن المضمون، وثنائية اللغة والكلام بـ: النمط والنص.

ويامسلاف نفسه يقر بأن نظريته ما هي إلا امتداد طبيعي لنظرية سوسير وبلورتها في قالب علمي رياضي جعل منها المتمم الحقيقي لأفكار هذا العلامة. ومن مبادئ هذه النظرية :

1- مبدأ التجريب.

2- مبدأ الإحكام والملاءمة.

منهج الدراسة:

تقوم دراسة اللغة وفق منهج تبنيه أسس قارة هي[1]:

1- النزعة المضادة للميتافيزيقا: الجمل الميتافيزقية ليست هي الجمل الخاطئة بل تلك التي لا معنى لها.

2- المبدأ التجريبي: الذي يعتمد على الملاحظة والاختبار ويجمع بين ثلاثة معايير: اللّا تناقض – الوصف الشامل – التبسيط.

3- التركيز على الوصف التركيبي.:من بين ما يحققه التركيب وصف المضمون، وهو نفسه ينشطر إلى أشياء قابلة للملاحظة والإبلاغ وإلى أخرى عكس ذلك تماما، وأبلغ مثال نصوغه لذلك تباين إدراك مدلولات الأشياء عند أكثر من شخص كترجمة الأداءات اللغوية ونبراتها، الألوان ، التواريخ ، الأماكن، أسماء الأشخاص....

4- تحويل اللغة العلمية إلى علم الجبر: يبدأ بإقصاء كل الجمل الميتافيزيقية من الخطاب العلمي، ثم يحلل النص تدريجيا سواء كان مكتوبا أو منطوقا إلى وحدات

[1] أحمد مومن، اللسانيات النشأة والتطور، ص164-165.

دنيا؛ من النص الشامل إلى فصول ثم فقرات فجمل ومفردات وغلوسيمات وحروف وأصوات.

وهذا ما يؤكد أن منهج التحليل (الجلوسيماتي) عند يلمسلاف يبدأ دائما بالوحدات الكبرى ثم الصغرى فالأصغر وهكذا... وهدفها هو إرساء قواعد كلية يستنبط من خلالها الباحث قواعد خاصة بكل اللغات باعتماد إجراءات علمية لصياغة فرضيات موضوعية وقوانين تجريبية ويبين في الوقت نفسه تباين اللغات وكما قال أشار بعضهم أنّ الطرح الذي تقدمت به هذه النظرية وبالكيفية التي تشير إليها تفاصيلها تجعل من قواعد منهجها لا يعتمد على أي علم آخر، بل بالعكس فالعلوم الأخرى هي التي تحتاج إلى اللسانيات باعتبارها قاعدة أساسية[1].

وحسب يلمسلاف هناك خمس سمات أساسية تدخل في البنية الأساسية لكل جملة[2] :

* مضمون وتعبير. *تتابع أي نص ونظام * يتصل المضمون بالتعبير اتصالا وثيقا خلال عملية التواصل.* تنتصب علاقات محددة ضمن التتابع والنظام* يفتقر التعبير إلى التطابق التام بين المضمون والتعبير.

وبالرغم من تعدد المصطلحات الجديدة التي أغنى بها البدائل إلا أن في حقيقتها الكثير منها قال بها دي سوسير. وهذا ما لم ينفه يلمسلاف نفسه في أكثر من موضع عندما أقر تأثره به.

[1] FrancisWhitfield, ((glossematics)) In Archibald Hill (ed)Linguistics, Voice of America Forum Lectures, 1969, p. 287.
[2] أحمد مومن ، اللسانيات النشأة والتطور، ص 160- 161

المحاضرة السابعة:

المدرسة الوظيفية الفرنسية

أندري مارتني*: (André Martinet)

ماانفكّ التّيار الوظيفي يبرز بالنّشاط الدّءوب لأعمدته، مؤسسين بذلك منهجا أصيلا في دراسة وظيفة التّواصل اللّغوية، وما استطاعوا الانفراد بذلك إلاّ من خلال البناء على أصل واحد هو اعتبار اللّغة نظاما وظيفيّا، وظيفته تمكين البشر من التّواصل. أندري مارتني واحد من هؤلاء الّذين اطمأنّوا إلى اللّغة بأنّ وظيفتها الأساسيّة هي التّواصل[1] بين أفراد الجنس البشري، والصّدارة لهذه الوظيفة في القائمة المفتوحة لوظائف اللّغة، وفي ذلك ولا شكّ اعتراف بأنّ للّغة وظائف أخرى وهذا ما أشار إليه في أكثر من موضع في كتابه:(**ESSAIS DE LINGUISTIQUE GENERALE**)، منها أنّ اللّغة من وظائفها استيعاب الحمولة المادية للفكر، فلولاها لما تعرفنا على منتوجه، وما تحققنا من وجوده أصلا – الفكر– ولولا اللّغة ما استطعنا الاهتداء إلى العنصر الجمالي في كلّ تواصل وتعبير، وهذا ما عبّر عنه جاكسون بالشّعريّة ولكن مارتيني يعتبرها ثانوية إذا ما قورنت بالوظيفة التّواصليّة. وقد ألقى الضوء أكثر على هذه الوظيفة بقوله: "... إن التّواصل بمعنى التّفاهم المتبادل هو الّذي يجب تثبيته على أنّه الوظيفة المركزيّة لهذه الأداة الّتي هيّ اللّغة"[2]، وكأنّ بهذه الوظيفة تعتبر الوظائف الأخرى محمولة على غايتها، وما وجدت إلا لتخدمها. هذا ما جعلها مركزيّة وأهّلها لتكون أساسيّة هذا من جهة، ومن

---

* **أندري مارتيني: André Martinet 1908-1984:** لساني فرنسي معاصر اشتغل بالتدريس وفي نفس الوقت أتم دراسته العليا مهتما باللغات كالانجليزية والجرمانية. أقام علاقات علمية وطيدة مع أعضاء علماء نادي براغ اللساني بمشاركات علمية منتظمة، انتقل إلى الولايات المتحدة الأمريكية وهناك تقلد عدة مسؤوليات منها إدارة مجلة الكلمة، ورئاسة معهد اللسانيات بجامعة كولومبيا، والجمعية العالمية للغة المساعدة، من مؤلفاته:

-*A Functional View of language- Element de linguistique générale

[1] André Martinet, Elément de l'inguistique générale paris.armand colin,1978,p09.

[2] André Martinet, idem, p10

جهة أخرى فهذه المقولة تجعل مصطلح التّبادل ينتصب عنصرا مائزا للتّواصل؛ إذ يوحي أكثر ما يوحي إلى النّظام اللّغوي الواحد الّذي يجمع فاعلي التّواصل، فبدونه لا يمكن أن نتصوّر فهمًا ولا تفاهمًا متبادلا "إذن لا يمكن أن ننقل تجربة هذا الشّخص إلى ذاك دون أن يكون لهما نفس النّظام"[1] وفي ذلك إشارة إلى أنّ التّواصل أقلّ ما يكون بين اثنين مختلفين كذات، وإلغاء للتعبير الفردي كما ذهب إلى ذلك الأستاذ أحمد رايص. وبهذا تطفو وظيفة اللّغة بكونها وسيلة للتّبادل الثّقافي، وهذا لا يتجسّد إلاّ مع الآخر؛ بمعنى حضور ضمائر مختلفة أقلّها (أنا، أنت) معيّنة للذّوات المتّواصلة فيما بينها وفي ذلك تأكيد على فضل اللّغة على الفكر وجودا، وهي حقيقة حتما غائبة في حالة التّعبير الفردي. ويؤكّد الأستاذ أحمد رايص في تعبير آخر بالقول إنّ "اللّغة وسيلة إبلاغ، يستطيع الإنسان بها أن يحلّل خبرته إلى وحدات، ولكن هذا التحليل يختلف من مجتمع إلى مجتمع، أمّا الوحدات فهي ذات مضمون دلالي وتعبير صوتي"[2] والمتمعّن في هذا التّصريح يثبّت موقف مارتيني من اللّغة بكون وظيفتها الأساسيّة هي التّواصل، ويقيمها في الوقت نفسه آليّة إجرائيّة لما أتى به، وبه عرف ألا وهو التقطيع المزدوج[3](**Double Articulation**)الّذي يرى فيه أنّ تقطيع اللّغة إلى وحدات دنيا (الفونيمات، المونيمات*) ينبغي أن نظهر به وظيفة كلّ وحدة لأنّ الوحدات اللّغوية لا حقيقة لها لغويّا إلاّ إذا أثبت أنّ لها وظيفة، أي أنّها تشارك بحضورها في تبليغ المعاني، سواء على مستوى التقطيع الأوّل وهو "ذلك المستوى الّذي يقوم على اعتبار أنّ أي ظاهرة من ظواهر التّجربة البشريّة يراد إبلاغها أو أيّ حاجة يراد تعريف الآخر بها، تحلّل إلى سلسلة من الوحدات لكلّ منها صورة صوتيّة ومعنى"[4] وهي نتاج التّجربة

---

[1] أحمد رايص، التواصل واللسانيات الحديثة، ص 115.

[2] أندري مارتيني، مبادئ في اللسانيات العامة، تر: أحمد الحمو، د ط. دمشق: 1985المطبعة الجديدة، ص 15

[3] للتعمق أكثر، ينظر:

André Martinet, idem, Pp 13-15

* **الفونيم:** أصغر وحدة صوتية غير دالة.
المونيم: أصغر وحدة صوتية دالة.

[4] idem, p13.

المشتركة لكلّ فرد من مجموعة لغويّة معيّنة، أو على مستوى التّقطيع الثّاني، ويتجلّى في إمكانيّة إخضاع الصّورة الصّوتية ذات معنى – المذكورة سلفا– إلى تقطيع متتابع من الوحدات تفتقر إلى المعنى وإن شاركت في تعيين معنى الصّورة الصوتيّة. وعليه فقيمتها ليس من معناها، وإنّما من وظيفتها في المتتاليّة الّتي توجد بها، ويؤكّد ذلك بقوله: "نسجّل بأنّ الثّراء الإعلامي لنظام ما مرتبط بعنصرين متلازمين: العدد المرتفع للوحدات وقيمة كلّ واحدة منتجة مع هذا العدد"[1] وليس معنى هذا أنّ المتّواصلين يتسابقون إلى توظيف أكبر عدد من الوحدات الصّوتية بنوعيها لتحقيق الفّهم، من باب "إذا زاد المبنى زاد المعنى" بل يجنحون إلى الاقتصاد في الكلام بقدر ما يوفي بالغرض؛ إذ "عندما يتكلّم الفرد ليجعل نفسه مفهوما فإنّه لا يتّفق إلاّ بالقدر الّذي يكفي ليبدو معه أنّ القول قد بلغ منتهاه"[2] ليجعل خاصيّة الاقتصاد في الجهد سمة تميّز النّشاط الإنساني "...فالنّشاط الإنساني خاضع إلى قانون الأقلّ جهدا الّذي من خلاله لا يجهد الإنسان نفسه إلاّ بمقدار ما يمكن به بلوغ الأهداف الّتي سطّرها"[3] ومن هذه المقولة وما سبقها يتّضح لنا أنّ مارتيني من المتأثّرين بنظريّة الإعلام والاتصال؛ إذ يتقاطع معها في كثير من المفاهيم سواء على مستوى الاقتصاد في اللّغة أو القيمة الإعلاميّة الّتي تحملها الوحدات اللّغويّة، وحتّى على مستوى المصطلح فالمتصفّح لكتابه **ESSAIS DE LINGUISTIQUE GENERALE** يجد عدّة مصطلحات استعارها من "شانون" و"ويفر" وحتّى "فينر" واستعملها في تحليل اللّغة ووظائفها وكلّ ماله علاقة بها: كالتشويش، الإطناب، التّغذيّة الراجعة... الخ، في حين وظّف مصطلح **Locuteur** المتكلّم و**Auditeur** السّامع مقابلا بهما المرسل والمرسل إليه في نظريّة التّواصل وإن دلّ ذلك على شيء فإنّما يدل على اهتمامه الواضح بالتلّفظ

[1] idem, p184.

[2] أندري مارتيني، مبادئ في اللسانيات العامة، ص 183.

[3] André Martinet, idem, pp 176, 177

Lénonciation إلى درجة أن ربط معرفة اللّغة بمعالجة اللّفظ[1] لأنّ الكلام ماهو إلاّ تجسيد لنظام هذه اللّغة الّتي لا يظهر وجودها إلاّ من خلاله.

انتصاب التواصل وظيفة أساسية للغة يجعل الوظيفة العامة لهذه اللغة تبنى من وظيفة الأجزاء المكونة لها. وهذا ما يدفع إلى البحث عن هذه الأجزاء الوظيفية، فكان الاهتداء إلى آلية تقطيع اللغة إلى وحدات دنيا، ومن نتاجه الوصول إلى تقطيعين تناول كل واحد منهما جزءا ثابتا من اللغة، اصطلح على تسميته بالتقطيع المزدوج كما أسلفنا الذكر نسبة لبنية الأجزاء المكونة لهذه اللغة التي تخضع للتقطيع إلى وحدات صغيرة فجاء التقطيع على مرحلتين، نحصل في كل واحدة منهما على نوع متماثل من الوحدات؛ وحدات المرتبة الأولى هي الكلمات، والكلمات تحمل معان تسمى بـ(المونيمات)، أما وحدات المرتبة الثانية فهي الحروف التي لا معنى لها وتسمى بـ (الفونيمات)، مثال ذلك:

* طرح الطالب سؤالا.

التقطيع الأول ويمس الجملة ويتم بتقطيعها إلى كلمات(مونيمات) تحمل معان، نحو: طرح / الطالب / سؤالا.

فكل كلمة من الكلمات الثلاثة إلا وتحمل معنى قائما بذاته، باجتماع هذه الكلمات الثلاثة تنتج جملة ذات معنى صالحة لتحقيق تواصل.

التقطيع الثاني ويمس الكلمة الواحدة من الجملة ويتم بتقطيعها إلى فونيمات لا تحمل معان، نحو:

- طرح: ط / ر / ح.

- الطالب: ا / ل / ط / ا / ل / ب.

[1] idem, p 25.

– سؤالا: سـ / ؤ / ا / لـ / ا .

فكل وحدة صوتية لا تحمل معنى عندما تكون مستقلة عن غيرها من الوحدات الصوتية الموجودة معها في المتوالية التي استدعتها. لكن عندما ترتب معها وفق نظام لغوي معين تنشئ كلمة لها معنى من متوالية من الوحدات الصوتية.

وكما للمونيم وظيفة – في عرف الوظيفيين – في الجملة بأن يحدد معنى يستهدفه المتكلم، كذلك للفونيم وظيفة تتلخص في القيمة الدلالية التي يمنحها وجوده في الكلمة باعتبار نوعيته أو ترتيبه في الجملة، وللاستدلال على ذلك نقول:

لو غيرنا حرف الحاء بحرف القاف لتَغَيَّرَ معنى الجملة في التواصل لتَغَيُّر معنى الكلمة في المتوالية، فينتج لنا مايلي:

1– * طرح الطالب سؤالا ⟸ طرق الطالب سؤالا.

– فلحرف القاف وظيفة في الفعل طرق تتجلى في المعنى الجديد الذي أُلبس به مدلول الفعل طرق مقارنة بمدلول الفعل طرح، أملاه عنصر الاقتناء الذي يلجأ إليه المتكلم. هذه الوظيفة للفونيم تتضح بقوة في الجملة نفسها عندما نستبدل الفعل طرح بالفعل طرق؛ إذ المعنى العام للجملة يتغير جذريا، هذا التغير أنتجته الوظيفة التي وفرها وجود الفعل طرق عوض طرح، هذا الاستبدال ما وجد إلا لتتناسب العناصر اللغوية المكونة للظاهرة اللغوية مع التصورات الذهنية التي يكونها المعني عن السياق العام للتواصل.

– وتجدر الإشارة هنا إلى عدم خلط هذه الحقيقة العلمية التي أقرها الوظيفيون مع حقائق علمية أخرى وجدت قبل هذا الطرح ألا وهي النطق المختلف للصوت الواحد في اللغة الواحدة نحو:

– قلبي مجروح، وهي الجملة الأصلية يمكن أن ينطق أحد حروفها بصور مختلفة عن الأصل مثل:

1– ألبي مجروح. 2– كلبي مجروح.

فتلفظ الجملتين المتأخرتين بصوتين مختلفين لا يُغيّر من معنى الجمل الثلاثة بل يحقق معنى واحد لا يختلف تماما عن المعنى الذي أنشأته الجملة الأولى. هذه الظاهرة اللغوية لا تنم عن وظيفة الفونيم بقدر ما تنقل النطق المختلف لعنصر لغوي من لغة واحدة لأبناء اللغة الواحدة. والمتحكم الأوحد في ذلك عناصر خارجة عن اللغة لكن مؤثرة في تأديتها، والبيئة الجغرافية واحدة منها، والدليل على ذلك أن التواصل يتحقق بالمدلول نفسه، ويستقر بالتأثير ذاته إذا تطابقت سياقات استدعاء الجملة وتوظيفها في ما تمليه طبيعة التواصل بأية صورة نطق بها الصوت (ق) . في حين الجملة الأخيرة مقارنة بالأولى يمكن أن تُبيّن وظيفة الفونيم إذا قصدنا تغيير معنى الجملة الأولى، فبعد أن كان المجروح قلب إنسان، أصبح المجروح حيوانا، وشتان بين الجرح المادي(ك(ق)لبي مجروح) والجرح المعنوي المستهدف في الجملة الأولى (قلبي مجروح)، لذلك يكون كل من (ح) و (ط) فونيما في المثال الأول، بينما لا يكون (ق) و(أ) إلا صوتان في المثال الثاني.

– فإذا كان للفونيم قيمة باعتبار وظيفته في الإنتاج اللغوي(التواصل)، فإنّ الصوت لا وظيفة له في النطاق اللغوي باعتبار تغيّر هيئة نطقه لأنها لا تغير شيئا في الإنتاج اللغوي(التواصل).

– استمداد الفونيم قيمة لغوية ووظيفة استعمالية من هيئته الأصيلة يجعل وجوده متميزا لتفرده عن غيره من الفونيمات في المونيمات، أو بين كل الفونيمات التي تمتلكها لغة من اللغات، وهذا ما يجعل عدد الفونيمات محصورا في أي لغة، بخلاف الأصوات التي يتوقع أن يتكاثر عددها مقارنة بالفونيمات، وقد يتطابق

عددها مع ما ينتج من المؤثرات الخارجة عن نطاق اللغة وما أكثرها ! إذ تتوالد صور نطق الصوت الواحد وتتضاعف هيئاته بتضاعف صور نطقه في الاستعمال، وضع تمليه العوامل الخارجة عن اللغة والمؤثرة في اللغة ذاتها، هذا ما يجعل عدد الأصوات في اللغة الواحدة غير قابل للحصر، وهذا من شأنه أن ينتج عددا من الأصوات يفوق بكثير عدد الفونيمات في اللغة الواحدة.

المحاضرة الثامنة:

المدرسة السياقية

كان للمدرسة السياقية دواعي وجود منها نظرة كل من شومسكي و بياجي للاكتساب اللغوي فيها على الترتيب إقصاء للجانب الاجتماعي وعدم اهتمام كاف به، ولا سيّما خصائص البيئة ومميزات الوسط الذي يوجد فيه الفرد، وهذا ما ألهم العالم الروسي فيجوتسكي*(L.S.VYGOTSKY) بناء نظريته حول نمو الطفل[1] فأسّسها على رفض التيارات النفسية المتعارضة حول الفكر البشري التي كانت منتشرة في عصره ** وقدّم طرحا جديدا مؤاداه أنّ الوظائف التي يقوم بها الفكر من ذاكرة وانتباه...إلخ ما هي إلا نتاج لعمليات اجتماعية في إطار التفاعلات، تفاعلات اجتماعية بين الأشخاص في نظام اتفاقات اجتماعية وثقافية، وهذا ما يبرّر إيلاءه الواقع الاجتماعي والثقافي والعلاقات القائمة فيهما الدور المفقود سابقا في اكتساب اللغة. لأنّ اللغة ليست تنظيما مُحكما مُنغلِقا على قواعده ومعزولا عمَّا حوله من أحداث، بل قد تكون هي نفسها السبب في وجوده ونمائه، وهذا ما يؤكّد "أنّ تجاهل علم اللغة للمجتمع يُعدّ شيئا خطيرا بالنسبة لعلم اللغة في حدّ ذاته"[2] وبهذا فالدارس اللغوي حتى ينشد الإحاطة الكاملة بحقيقة اللغة، يجب أنْ يضيف هذه الحلقة المفقودة لاهتماماته. ولعل هذا ما أراد أن

---

*فيجوتسكيL.S.VYGOTSKY : 1896-1934: باحث روسي من المهتمين بالدراسات المؤسسة على علم النفس النمو، وبالتربية، وعلم النفس المرضي، إليه يعود الفضل في بناء نظرية النمو الإنساني تتقاطع مع توجهات المإركسيّة.

[1] حفيظة تازروتي، اكتساب اللغة العربية عند الطفل الجزائري، ص 74 وما بعدها.

**كالسلوكية مثلا باعتبارها أقصت الوعي وتجاهلته في دراسة السلوك الإنساني، أو العقلية وآرائها في اكتساب اللغة.

[2] د. هدسون، علم اللغة الاجتماعي، تر: د: محمد عياد، ط 2. مصر: 1990 ، عالم الكتب، ص16.

يثبته برونسيلو مالينوفسكي (Bronislaw Malinovsky)* حين استخلص من جملة أبحاثه "أنّ اللغة تعمل كأداة تواصل ضمن نشاط إنساني متعارف عليه"[1]، وهذا ما يشير إلى وظيفة الكلام من باب أنّه هو الذي يمنح الحياة للكلمات؛ بمعنى أنّ الكلمة الواحدة تَتَزَيَّا بزي جديد عند كل استعمال جديد، وجديد الاستعمال هذا مرتبط أساسا بالسياق (Le Contexte)، وهذا ما يؤكّد أنّ "السياق ضروري لفهم الكلمات"[2]، لكن مالينوفسكي استعان بمفهوم سياق الموقف(Contexte situationnel) الذي يشير به إلى أنّ معاني المفردات والجمل لا تُستوعب[3] إلا بالرّجوع إلى معاينة الوظائف التي تؤديها في السيّاقات الموقفية الخاصة التي تُستعمل فيها.

آراء مالينوفسكي هذه كان لها صدى عند غيره من المفكرين، ومن هؤلاء جون ريبرت فيرث (J.R.Firth) 1960-1980:

لغوي بريطاني درس التاريخ، تعلّم بعض اللغات الشرفية ولا سيّما عند استقراره بالهند، حيث عمل أستاذا للغة الإنجليزية، وفي عام 1928 عاد إلى لندن ليشتغل أستاذا بمعهد الصوتيات، وفي عام 1938 انتقل إلى قسم اللغة في كلية الدراسات الشرقية و الإفريقية حتّى تقاعده.

وهو الذي أقرّ بأنّ "اللغة شكل من أشكال الحياة الإنسانية وليست مجرد مجموعة من الإشارات والرموز الاعتباطية"[4] وهذا تأكيد منه على أنّ إقصاء الجانب الاجتماعي في دراسة اللغة هو إقصاء غير مبرر وفق هذا المنظور للغة تبنى فيرث نظرية سيّاق

---

*برونسيلو مالينوفسكي Bronislaw Malinovsky1884-1942: أنثروبولوجي بولندي، عمل أستاذا بمدرسة العلوم الاقتصادية بلندن عام 1927 ، أجرى عدة أبحاث لغوية ميدانية على قبائل بدائية، توصّل بها إلى حقيقة أنّ اللّغة تستغل كأداة تواصل، وإليه يعود الفضل في ابتكار مفهوم سيّاق الموقف contexte situationnel

[1]أحمد مومن، اللسانيات، النشأة والتطور، ص 177.

[2]Tsutumu Akamatsu et al, The linguistics encyclopedia, 2nd éd. New York: 2004 Routledge. P157.

[3]للتعمق أكثر ينظر:

- أحمد مومن، اللسانيات، النشأة والتطور، ص 178.

- عبدو الراجحي، اللغة وعلوم المجتمع، ط2. لبنان: 2004 دار النهضة العربية، ص 22 وما بعدها.

[4]جون إي جوزيف وآخرون، أعلام الفكر اللغوي، ج2، ص 104.

الموقف، وهي بالنسبة له حقل خصب من العلاقات[1]يفعِّلها أشخاص ويثرونها عند قيامهم بالأدوار المسندة إليهم في المجتمع حسب طبيعة الحوادث والأشياء المرتبطة بهم، وبهذا فإنّ فيرث لم يلتق مع مالينوفسكي في تثمين الجانب الاجتماعي للغة فحسب باعتبار اللغة تحيا وتنمو في سياق اجتماعي معين، وأبعد من هذا نجد موقف فرانز بوعز (Franz Boas)[*] حيال اللغة فهو لم يربط اللغة بالمحيط بل بالثقافة، "فالمجتمع حسب بوعز لا يمكن فهمه من خلال بيئته بل من خلال ثقافته، ولا يمكن فهم ثقافته إلاّ من خلال لغته"[2], وبذلك يكون قد تجاوز عامل البيئة والمحيط ليستقرّ اهتمامه على عامل الثقافة. أفكار فرانز بوعز حول اللغة و صِلتُها بالثقافة لم تذهب إلى واد، بل وجدت من تأثّر بها[3] وحاول استثمارها في أطروحاته، ومن هؤلاء إدوارد سابير (Edward Sapir) 1884-1939: ولد بألمانيا ثم هاجر إلى أمريكا، تخصص في الدراسات الفيلولوجية، اتصل بفرانز بوعز 1904 فتأثر به و اتجه إلى الدراسة الميدانية، وانكبّ على دراسة اللغات الهندية الأمريكية، درس اللغة مركزا على الجانب الإنساني لها وبعدها الثقافي، أنشأ مع ب، ل وورف B.L.worf ما يعرف بفرضية سابيرو ورف والتي مفادها أنّ لغة المرء تؤثّر في تفكيره الحتمية اللغوية ورؤيته للأشياء وأنّ اللغات يميّزها الاختلاف في بنياتها النسبية اللغوية من مؤلفاته كتاب اللغة عام 1921.

فبعد الدراسات الميدانية التي أجراها على اللغة بالنزول إلى متكلميها، توصّل إلى أنّ "اللغة هي أداة تواصل إنسانية محضة وغير فطرية (instinctif)"[4] لا يولد المرء مزودا

---

[1] للتعمق أكثر ينظر:

- عبده الراجحي، اللغة وعلوم المجتمع، ص 26 وما بعدها.
- أحمد مومن، اللسانيات، النشأة والتطور، ص 178.

[*] فرانز بوعز Franz Boas 1858-1942: من المهاجرين الألمان إلى أمريكا وهو أول من أسس اللسانيات الوصفية في و.م.أ. وقد ظلت هذه الأسس التي تضمنها كتابه: دليل اللغات الهندية الأمريكية Hand book of American Indian by languages سنة 1911 مهيمنة على النظرية اللسانية ولم يثر بشأنها أي جدل حتى سنة 1957 عندما ألفى شومسكي مؤلفه الشهير: البنى التركيبية، وقد اعتمد في دراساته على اللغات المتطوقة وتوصل إلى أن اللغة أهم مظهر من مظاهر الثقافة.

[2] أحمد مومن، اللسانيات، النشأة والتطور، ص 188.

[3] جون إي جوزيف وآخرون، أعلام الفكر اللغوي، ج2، ص 23.

[4]Edward Sapir, le langage, traduction de l'anglais par : S. M. Guillaumin, Paris, ed, payot et Rivages 2001, p15

بها، بل المجتمع هو الذي يكسبها له وعلى هذا فالتباين*اللغوي للمجتمعات ناتج عن التباين الثقافي لها.

ولعل هذا ما جمع سابير بـ: بنجامين لي وورف (B.L.Woorf 1897-1941: مفكر أمريكي، بعد أن حصل على درجة جامعية أولية في الهندسة الكيميائية، اشتغل مفتشا مختصا في الوقاية من الحرائق في شركة تأمين. ارتبط اسمه بسابير، وقد ذاع صيته بسبب ما يعرف بفرضية سابير وورف التي تشير إلى أن طريقة تفكيرنا تصوغها اللغة التي نتحدث بها.) فيما يعرف بفرضية سابير وورف "...والتي تشير إلى أنّ الطريقة التي نفكر بها تصوغها – أو تحددها – اللّغة التي نتحدّث بها"[1] وهذا ما يؤكّد أنّ للغة تأثيرا حاسما في رسم معالم تفكيرنا، وأنّ أيّة لغة إلاّ وتفرض على أبنائها والناطقين بها طريقة خاصة في تفكريهم،[2]وعليه فالفرد يتميّز فكريا إذا تميزّ لغويا، إذ "إنّ اللغة كما يقول وورف تسيطر على فهم المرء للواقع"[3]

* فلكل لغة أقسامها الخاصة وأنماطها المتميزة، وهذا ما أشرت إليه في الهامش عند تعريفنا بسابير وإشارتي إلى اللسانيات النسبية، للتعمق أكثر ينظر:

– أحمد مومن، اللسانيات النشأة والتطور، ص 190.

[1]جون إيف جوزيف وآخرون، أعلام الفكر اللغوي ج2، ص 83.

[2]أحمد مؤمن، اللسانيات، النشأة والتطور، ص 191.

[3]جون إيف جوزيف وآخرون، أعلام الفكر اللغوي ج2، ص 87.

المحاضرة التاسعة:

المدرسة التوزيعية

بلوم فيلد[*]:(BLOOME FIELD)

بالرغم من اختلاف مقومات الدرس اللساني الأمريكي عن مثيله الأوروبي في طبيعة المدونة **Corpus** التي أقاما عليها درسيهما، إلا أنّ الدّرس اللّغوي الأمريكي لم يشذ عن الدّرس اللّغوي الأوروبي الأخير في تناول اللّغة ومحاولة دراستها لذاتها، وما زاد من وفاء علماء الأمريكان لهذا المبدأ، الطبيعة الشّفهيّة للّغة موضوع الدّراسة؛ فلا مراء أنْ كان الوصف والاستقراء منهجين، بل مطلبين سعت إلى تحقيقهما بعض الدّراسات اللّغوية الأمريكيّة، لكن هذا السّعي لم يكن في منأى عن تأثير بعض العلوم الّتي رافقت هذه الدّراسة في تناول اللّغة؛ إذ الجهود الّتي بذلها بعض اللّغويين من بينهم بلوم فيلد، تلوّنت بمبادئ تلك العلوم الّتي اكتسحت السّاحة العلميّة ومن بينها الفلسفة الوضعيّة [أ] **(positivism)**، والتّجريبيّة [ب]

---

[*] **بلوم فيلد**: لساني أمريكي ولد بشيكاغو عام 1887، التحق بجامعة هارفرد في سنة 1903، ومن جامعة شيكاغو تحصل على شهادة الدكتوراه عام 1909، هاجر إلى أوروبا أين تمكن من متابعة محاضرات أعظم علماء اللسانيات المقارنة أمثال لسكين «Leskien» وبروغمن «Brugman» فبعد أن درس اللغة الألمانية قبل هجرته، عاد ودرس الفبيلولوجيا الجرمانية في جامعات عديدة بالولايات المتحدة الأمريكية، ولاسيما اللغات الهندية الألغونقوية إلى أن اعتنى أكثر فأكثر باللسانيات الوصفية والبنوية متخذا موقفا لم ينتصر فيه للدراسة اللغوية التقليدية التي ظهرت قبل اللسانيات التاريخية لا لشيء إلا لأنها كانت استدلالية ومعيارية، وما كانت البتة وصفية واستقرائية، وهذا ما جعلها تجانب العلمية في رأيه.

من مؤلفاته : مدخل إلى دراسة اللغة Introduction to study of language، اللغة Language. ويعد بلو مفيلد بحق عراب السلوكية Behaviorism، التي نقلها بوفاء وجد إلى اللسانيات بوصفها إطارا نموذجيا لوصف اللغة. عاش حياته العلمية حريصا على إثبات ذلك وداعيا إليه إلى أن وافته المنية عام 1949.

[أ] الفلسفة الوضعية: Positivisme: ترى بأن المعرفة مصدرها الخبرة وليس العقل، وهذا ما يؤكد نفيها لكل تفكير تجريدي ولا تؤمن إلا بالظواهر والوقائع اليقينية.

[ب] الفلسفة التجريبية: Empiricisme: وهي أكثر ارتباطا بالعلوم الطبيعية. ترى أن كل معرفة حتى تكون علمية يجب أن تخضع للتجربة والحقيقة عندها يجب أن تبنى على الملاحظة والاختبار لا على العلم والعقل.

(**Empiricisme**)، والبراجماتيّة (**pragmatism**)[ج]، فأضحت مرجعا معرفيّا وفلسفيّا منه استوحت مبادئها المنهجيّة والفكريّة.

الطّابع المادّي[1] لهذه العلوم أسقط على الدّراسة اللّغوية الّتي اعتمدها بلوم فليد، فاتّسم منهجه بالآليّة؛ إذ انطلق من مبدأ أنّ الشيّء الّذي يمكن ملاحظته وقيّاسه وبالتّالي التحكّم فيه تعديلا وتغييرا هو وحده القابل للدّراسة وكلّ ما خرج عن هذه الدّائرة لا يعدو أن يكون موضوعا يقتحم اهتمام الدّارس، وبذلك انتفى الشّعور والوعيّ وحتّى الدّوافع والحاجات الدّاخلية[2] من أهليّتها لتكون موضوع دراسة علميّة موضوعيّة، وهذا ليس نكرانا لوجودها وإنّما لاستحالة إخضاعها للملاحظة والقيّاس لا لشيّء إلاّ لأنّها داخليّة، فطفت الأشياء والأحداث الخارجيّة باعتبارها قابلة للملاحظة لتكون موضوعا نموذجيّا للدّراسة العلميّة واللّغة واحدة منها، حيث جعلها بلوم فيلد شكلا من أشكال السلوك البشري وهي عنده "سلوك فيزيولوجي يتسبّب في حدوثه مثير معيّن"[3]، ولعّل الأحداث وحيثيّاتها الّتي استقاها من لقاء جيل وجاك[4] برهان على ما ذهب إليّه من حيث عدم الاهتمام بالجوانب الذهنيّة، والاهتمام فقط بما يمكن ملاحظته ملاحظة مباشرة بالاعتماد على السّلوك الظّاهري دون سواه، وبذلك فتناول الظّاهرة اللّغوية يكون بتحليل الأشكال اللّغوية الظّاهرة، والمواقف المباشرة الّتي أفرزتها في واقع لغويّ مميّز. والقصّة نفسها تشير إلى أنّ التّواصل أقلّ ما يكون بين اثنين ويظهر، هذا في صورة جيل وجاك، وأن التّواصل نوع من أنواع الاستجابات (**Reponses**) لمثيرات معيّنة (**Stimulus**) توفّرها البيئة (**Environment**) الّتي تجمع المتّواصلين .

[ج] البراجماتية النفعية: Pragmatisme: وهي فلسفة ترى إن معيار صدق الآراء والأفكار في قيمة عواقبها العملية، والمعيار الأوحد للحقيقة نجاحها ، وهي من المبادئ التي تشبعت بها الثقافة الأنجلوساكسونية ولا زالت.

[1] أحمد مؤمن، اللسانيات النشأة والتطور، ص 193.

[2] حفيظة تازورتي، اكتساب اللغة العربية عند الطفل الجزائري، ط1. الجزائر: 2003 دار القصبة للنشر، ص51.

[3] أحمد مومن، اللسانيات النشأةوالتطور، ص 195.

[4] للتوسع ينظر:

- أحمد مومن، المرجع نفسه، ص195.
- جاكسون وآخرون، التواصل، نظريات ومقاربات، تر: عز الدين الخطابي وزهور شوقي، د ط. الدار البيضاء: 2007 منشورات عالم التربية، ص84.
- مازن الواعر ، المرجع نفسه.

وعليه فالتّواصل لا صلة له بالتّفكير(العقل) " لأنّ الاستجابة الكلاميّة مرتبطة بصورة مبّاشرة بالحافز، ولا تتطلّب تدخّل الأفكار وذلك لأنّ اللّغة في نظرهم لا تعدو أن تكون عادات صوتيّة يكيّفها حافز البيئة"[1] وبذلك فالمرسل أو المتكلّم عند إنتاجه للملفوظ يكون قد استجاب استجابة نطقيّة لمثير معيّن من محيط البيئة الّتي يوجد فيها ليس إلاّ. ويمكن أن نعبّر عن ذلك كلّه بالتّرسيمة المقترحة التّالية:

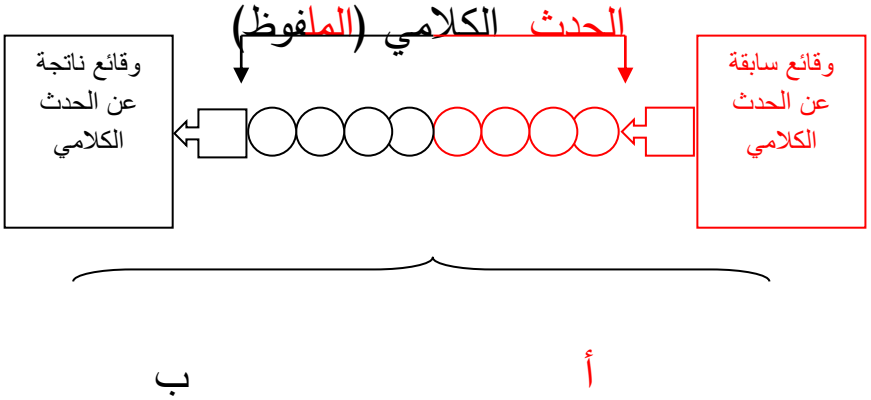

فالتّرسيمة هذه تظهر:

1- التّواصل محقق بين اثنين (أ، ب).

2- وجود وقائع سابقة عن الحدث الكلامي (الملفوظ).

3- وجود وقائع ناتجة عن الحدث الكلامي.

4- الحدث الكلامي كوجود عيني حاضر بين (أ) و (ب) لكن صورته عند (أ) تختلف كوجود عند (ب). فعند (أ) ما هو إلاّ استجابة، وعند (ب) ما هو إلاّ منبه.

5- الوقائع القبليّة للحدث الكلامي عند (أ) تطابق الحدث الكلامي عند (ب) فكلاهما منبّه.

6- الحدث الكلامي عند (أ) يطابق الوقائع البعديّة عند (ب) فكلاهما استجابة.

7- التواصل كوجود فعلي مبني على أساس مثير فاستجابة وهكذا...

[1] أحمد حساني، مباحث في اللسانيات، ط1.الجزائر،:1994 ديوان المطبوعات الجامعية، ص152.

وعليه فالاستجابة محقّقة ولو تجاوزنا الحدث الكلامي، ويكفي تلك الوقائع الّتي استثارت هذا الأخير حتّى يكون تغيّر في السّلوك (استجابة) ويتجسّد هذا في حال التّواصل الذّاتي كأن يكون جاك هو من شعر بالجّوع وهو من قطف التّفاحة لنفسه، وإذا كان هذا الاستنتاج منطقيا، ألا يمكن اعتبار الحدث الكلامي قد اتّخذ موقعا بديلا لمثيره، تماما كما اتّخذ التغيّر في السلوك موقعا بديلا للحدث الكلامي؟ وحسبي أنّ هذا يتّضح أكثر في حال تحقّق التّواصل بين اثنين فأكثر، كما وجد في صورة جاك وجيل.

ومما تقدم فقد اتخذ بلوم فيلد من مبدأ التوزيع ديدنا لدراسته، وذلك بمعالجة مواقع الوحدات اللغوية في لغة من اللغات باعتماد الملاحظة والوصف اللذان يقودان إلى عملية توصيف تنتهي بعملية تحديد توزيع الوحدات اللغوية في الإنتاج اللغوي، وهذا ما يصطلح على تسميته بالمنهج التوزيعي، اعتماده قاد بلومفيلد إلى إيلاء الوحدات الصرفية فالنحوية أهمية باعتبارها خاضعة للملاحظة والوصف، وأبعد المعنى من اهتماماته لأن خاصية الملاحظة المتوفرة في الوحدات السابقة غائبة تماما فيه. وبذلك فالعناصر اللغوية القابلة للملاحظة تتحدد علاقاتها في التركيب الواحد(أفعال الكلام) بعلاقاتها مع غيرها من الوحدات المكونة للفعل الكلامي. والتتالي السليم (أي التوزيع) للوحدات اللغوية في الفعل الكلامي ينتج عنه تركيبا سليما باعتبار العلاقات اللغوية والمنطقية التي تحكمها.

بالرغم الجديد الذي جاءت بهذه الأفكار إلا أن الكثير انتقدها من الهتمين لا لشيء إلا لأنها استبعدت المعنى من الدراسة.

المحاضرة العاشرة والحادية عشر

المدرسة التوليدية التحويلية

لا ينكر أحد أنّ الثورة التي أحدثها سوسير على المناهج التي سبقته في الدّرس اللّغوي طاولتها ثورة نوام شومسكي(Noem Chomsky) *على البنويّة والسّلوكية اللّتين كان لهما أثر بالغ في الدّراسات اللّسانية الحديثة؛ إذ رفضهما، فانتقد البنويّة لأنّها كانت تعتمد المنهج الوصفيّ التّنظيري الّذي كان وصفا سطحيّا للواقع اللّغوي، في وقت التحليل اللّغوي كما يراه شومسكي لا يمكن أن يكون وصفا لما يقوله المتكلّم وما ينبغي له "وإنّما شرح، وتعليل للعمليّات الذّهنية الّتي من خلالها يمكن للإنسان أن يتكلّم بجمل جديدة"[1] بمعنى أن وراء القدرة الإبداعية للغة الإنسانية قوى أعمق وأقوى أثر من الخطأ أن تهمل في دراسة اللغة.

وانتقد المذهب السّلوكي لأنّه نزل بالإنسان إلى مستوى الحيوان أو الآلة، لأن اللّغة عنده "تكتسب عن طريق التّعزيز والاستجابة وتتعلّم عن طريق الصّواب والخطأ"[2] وبذلك يكون هذا المنهج قد ركّز على السّلوك الخارجي للإنسان، ملغيا العمليّات الذّهنية الدّاخلية الّتي تتمّ في دماغه. لأنّ اللّغة في الحقيقة "قدرة فعّالة غريزية وفطريّة. هذه القدرة الفعّالة الغريزيّة مختصّة بالفصيلة الإنسانية وحدها، من هنا فقد أراد شومسكي من التحليل اللّساني أن يشرح اللّغة وأن يعلّلها من الدّاخل وليس من الخارج"[3]؛ بمعنى أنّ اللّغة عنده فصيلة إنسانية متميّزة، ودراسة مظهرها الخارجي فقط قصور، بل التحليل العلمي للحدث اللّغوي يجب أن ينطلق من جانبه الداخلي حيث الظواهر الفيزيائية والبيولوجية والآلية والنفسية التي في الدماغ البشري دون سواه، وبذلك يكون قد كشف عن **حقيقة اللّغة وعن إنسانية الإنسان.** وعلى عيوب

---

* نوام شومسكي (1928) لغوي أمريكي، صاحب اللّسانيات التوليدية التحويلية الّتي كان لها أثر عميق في علم اللّسان الحديث، ظهرت ملامحها الكبرى في كتاب له سنة 1957 الموسوم: (البنى التركيبية= Structures syntaxiques) واكتملت في كتاب ثان له سنة 1965 والموسوم النظريات التركيبية = (Aspects de la théorie syntaxique).

[1] مازن الواعر، ((النظريات النحوية والدلالية في اللّسانيات التحويلية والتوليدية))، مجلة اللّسانيات، عدد 6 الجزائر، 1986، ص 25.

[2] صالح بلعيد، نظرية النظم، ص 78.

[3] مازن الوعر، قضايا أساسية في علم اللّسان الحديث، ص 115.

ونقائص هذه المناهج أو تلك، أقام شومسكي منهجه التوليدي التحويلي الّذي من أسّسه*:

1-الملكة والتأديّة:

2-البنية العميقة والسّطحية.

3-السّلامة النّحوية والاستحسان.

4-تحليل توليديّ تحويليّ للجملة.

و**الملكة** عنده هي معرفة المتكلّم الباطنية لقواعد اللغة الموجودة في ذهنه، تسمح له بتوليد مجموعة من الجمل لم يسمعها من قبل. أما **التأدية** فهي الكيفية الأدائية للملكة اللغوية في تبليغ الأغراض وهذه الكيفية ليست دائما سليمة، لهذا وضع مبدأين آخرين وهما السلامة النحوية والاستحسان. فالسلامة النحوية هي قياس لقواعد اللغة في ضبط الأداء والكلام حتى لا ينحرف، أما الاستحسان فربَطه بالأداء والمتكلم، وبذلك فالسلامة النحوية مرتبطة بالملكة، والاستحسان مرتبط بالتأدية. وقد دفعه هذا إلى وضع أساس ثالث هو البنية السطحية والبنية العميقة؛ فالبنية السطحية هي البنية الظاهرة عند تتابع الأصوات أي جانب الأداء اللغوي الفعلي وهو الجانب الشكلي الخارجي للغة باعتبارها أصواتا ملفوظة، أما البنية العميقة فهي القواعد التي أوجدت تتابع الأصوات وهي الجانب الداخلي للغة.

ومن أُسّس منهجه ومعانيها وتمييزه الدّقيق بينها نقول:

من جهة اهتم بالمتكلّم لأنّ البّاحث اللّغوي عنده عليه أن "...يقترب أكثر فأكثر من المتكلّمين النّاطقين بلغتهم وذلك لسبر الكفاءة أو القدرة اللّغوية الفاعلة والمنفعلة في الذّهن البشري"[1]، لأنّ الهدف من التّحليل اللّغوي هو معرفة القوانين والقواعد

* معاني هذه الأسس، طرحت بعمق عند صالح بلعيد، نظرية النظم، ص 80 وما بعدها.
[1] مازن الوعر، قضايا أساسية في علم اللّسان الحديث، ص 117.

الإنسانيّة الّتي تجعل الإنسان يتميّز بهذه القدرة. من جهة أخرى بيّن أنّ البنية السّطحيّة (الوصف الخارجي) – التي اهتمّ بها سوسير– غير كافيّة، فأضاف البنية العميقة.

كما يقودنا الفهم العميق لهذا المنهج وأُسسه إلى استنتاج جوهري مفاده أنّ اللّغة لا نهاية لها خلاقة بطبيعتها ما دامت "...قادرة على إنشاء جمل غير متناهية العدد، بينما وحداتها الصّوتيّة والمعنويّة وقواعدها محدودة"[1]، معنى هذا أنّ كل لغة تتكون من مجموعة محدودة من الأصوات والرموز الكتابية مع ذلك فإنها تنتج وتولد عددا لا متناهيا من الجمل، وهذا الذي يجرّ إلى النقطة الجوهريّة في النظرية اللّغوية التحويلية عند شومسكي وهي لا نهاية اللغة. وهذا ما ميّز ثورة شومسكي وقاربت به ثورة سوسير قيمة.

وما دامت الألفاظ حصون المعاني والمعاني ممتدة إلى غير نهاية – كما هو متداول عند المختصين– فكثرة الألفاظ تتبع كثرة المعاني وبذلك فاللغة نتيجة من نتائج الفكر، وليس هذا فحسب بل "الكلام والفكر ينموان ويرتقيان معا"[2]، وهذا ما يؤكد الترابط الوثيق بين اللغة والفكر فلا قيمة للغة إلا قياسا بالمعاني المتصورة في الذهن، والمعاني لا وجود لها إلا إذا أثبتت بواسطة اللغة، لأنّها آلة ووسيلة لتوضيحه وتحليله وهذا ما نشير به إلى عوامل اكتساب اللغة، فالمتعلم يملك استعدادا فطريا لذلك لكن لا يكفي إذا لم يدعّم بما يمكن أن يثري فكره بمعارف وينشط لسانه بألفاظ بها يخرج تلك الأفكار إلى الحياة، ولا يتأتى له ذلك دون طرائق فاعلة وظيفية يكون الفكر فيها دافعا لتوظيف اللغة واللغة آلة نشطة للإفصاح عن ذاك الفكر. فالفكر دون لغة لا وجود له واللغة دون فكر لا معنى لها.

المتتبع لمسار ظهور النظرية التوليدية التحويلية لاشك سيدرك أنها لم تستوِ كاملة منذ أول ظهور لها، بل مرت بمراحل؛ فإذا كان أول ظهور لها عام 1956 بظهور

[1] محمد الشاوش وآخرون، أهم المدارس اللّسانية، ص 76.
[2] جميل صليبة، علم النفس. بيروت: دار الكتاب اللبناني، ط3، 1981، ص 518.

كتاب (التراكيب النحوية) لشومسكي فإن المرحلة النموذجية بدأت بظهور كتاب ثان له عام1965 بعنوان (مظاهر النظرية النحوية) هذه المرحلة التي أولت اهتماما إلى المكون الدلالي واستمرت نافذة إلى غاية 1970 فبعد هذه السنة وجه الاهتمام إلى معالجة المصاعب المتولدة عن فكرة النحو العالمي. ولعل لطفو بعض الانتقادات لآرائه اللغوية في ما يعني نظريته ولا سيما أن الفترة ظهرت بوادر لتطور علوم ذات صلة باللغة واستعمالاتها جعلت شومسكي ينكب على تطوير نظريته وإصلاح ما غفل عنه من نقائص في بداية ظهورها.

مميزات المنهج التحويلي في تناول اللغة:

– التركيز على الجملة وهي موضوع الدراسة.

– تمس اللغة مظاهر تحويل متنوعة ومختلفة تسمى عناصر التحويل:

* التحويل يمس الحركة الإعرابية في إحدى الوحدات اللغوية المكونة للجملة: النصب – الرفع – الجر– السكون.

* قواعد الحذف: يمس الحذف إحدى الوحدات اللغوية المكونة للجملة أو أكثر بشرط عدم الإخلال بالمعنى الأول.

* قواعد الزيادة: هي عكس قواعد الحذف وتخضع لشروطها.

* قواعد التعويض: وهو إمكانية إحلال كلمة (خارج الجملة) مكان أخرى (في الجملة) مع الاحتفاظ بالمعنى الأول قبل التعويض.

* قواعد إعادة الترتيب: بحسب علاقة الوحدات اللغوية في ما بينها في الجملة الواحدة يمكن أن تخضع هذه الوحدات إلى إعادة ترتيب مع الاحتفاظ بالمعنى الأول.

وإنزال النظرية إلى مجالها التطبيقي طريقتان:

الأولى: تقوم على تحليل الجملة إلى عناصرها الجزئية المكونة لها أي إلى وحداتها اللغوية التي تكونها:

كقولنا: -/ أكل زكريا تفاحة.(جملة اسمية)

فتحليل هذه الجملة يكون كمايلي:

الجملة = مركب اسمي.

مركب اسمي= اسم + مركب فعلي.

مركب فعلي= فعل +اسم.

-/ وقولنا= اشترى زكريا محفظة.

الجملة= مركب فعلي + مركب فعلي.

المركب الفعلي = فعل + مركب اسمي.

المركب الاسمي = أداة + اسم.

الأداة = ال.

الاسم= زكريا ، محفظة.

الفعل = اشترى.

وهذا ما يسمى عند المهتمين بالعملية التشجيرية.

وتمادي شومسكي في الاهتمام بالجملة واتخاذها وحدة محوريّة في التّحليل اللّغوي نتجت عنه أفكار جديدة عند غيره، فمن اللّسانيين من ينادي بتجاوز الجملة إلى

النّص* وجعله مجالا للبحث اللّغوي العميق والدّقيق، وهذا ما يسمى بلسانيّات النّص** ، لا لشيء إلا لأنّ الدّراسات السّابقة "عجزت في الرّبط بين مختلف أبعاد الظّاهرة اللّغوية البنوي والدّلالي والتداولي"3 والنّص كفيل بتحقيق هذا الرّبط والانسجام الّذي تفتقر إليه الجملة.

وهذه النّظريّات اللّغوية وأسّسها والمبادئ الّتي تميّزها تبقى مجرّد أفكار لا تعدو أن تكون إلاّ فلسفة تتصارع فيها المناهج وتتعدّد بها الاكتشافات نناصر فيها نظريّة وندحض أخرى لا لشيء إلا لأنّها جديدة أو أكثر عمقا من سابقتها.

والمحكّ الحقيقيّ لصحّة هذه النّظريّات وصواب مواقفنا تجاهها هو المجال التطبيقي لها، وهي بأمسّ الحاجة إليه لا لما ذكر فحسب، بل حتى يُعطى لها دفع قويّ لتعميق البحث بتعزيز الصّواب وتقويم الخطأ فيها وحتى إعادة النّظر كليّة فيها إذا تطلّب الأمر ذلك.

وهذا ما من شأنه أن يكون إغناء للبحث النّظري الّذي لا ينتظر أصحابه آراء غيرهم من العلماء فيما توصّلوا إليه حتى يثمّنوا أبحاثهم أو يراجعوها، وإنّما أبحاثهم التطبيقيّة كفيلة بتقويم أسّس نظريّتهم ونتائج أبحاثهم.

وبهذا، فالبحث النّظري لا معنى له دون بحث تطبيقيّ يقوّمه، والبحث التطبيقي لا وجود له دون بحث نظريّ ينهل منه. وبهذه العلاقة الجدليّة بينهما نتبيّن أهميّة النّتائج الّتي كان بالإمكان التوصل إليها – وناهيك عن الزّمن والمجهود الّلذين يمكن اختزالهما – لو لم يتأخّر ظهور علم الّلغة التطبيقي إلى غاية 1946[1].

* يقصد بالنّص كل فعل تواصلي يستعمل اللّغة (حوار، رسالة، نص أدبي،...)

** لسانيات النّص: علم من علوم اللّغة يدرس بنية ونظام النّصوص ويسعى إلى تأسيس لسانيات لا تكتفي بالجملة كوحدة أساسية بل تنطلق من النّص ككل كوحدة أساسية للبحث. للتعمق أكثر ينظر عبد اللطيف الفاربي وآخرين، المرجع نفسه، ص 185.

[1] صالح بلعيد، دروس في اللّسانيات التطبيقية. الجزائر: دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، 2000، ص 11.

المحاضرة الثانية عشر:

المدرسة الوظيفية الأمريكية

تداعيات ما سبق من آراء فتح المجال لآراء أخرى وسعت من الوظيفة الاجتماعية للغة، ومن ذلك أن آراء مالينوفسكي لم تتوقف عند فيرث، بل امتدت حتى إلى م.أ.ك. هاليداي [*](M.A.K.Halliday)الذي يؤّكد صراحة تعلقه بما توصل إليه [1]مالينوفسكي فيما يعني "الوظيفة الاجتماعية للّغة" فهي حسبه تنعكس في التنظيم الداخلي للنظام اللغوي، والبحث عن هذه الآثار الوظيفية الحاضرة في بنيات اللغة انتصبت موضوعا اِنكب على دراسته، آخذا لغة الطفل نقطة انطلاق عمله، مُحلِّلا كيف يتطور التواصل عنده حتى مرحلة الرشد؟ فتبيَّنت له في نمو وظائف اللغة ثلاث مراحل، لكل مرحلة وظائف تميزها:[2]

أ- **<u>المرحلة الأولى:</u>**

لاحظ أنّ الطفل الصغير أثناء اعتماده اللغة يُحقِّق الوظائف التالية:

1- الوظيفية الأداتية: (Fonction instrumentale)

وهي تحيل إلى الرغبات المادية التي يريد الطفل إشباعها أو الأشياء المادية التي يرغب الحصول عليها، وتتجسّد مثلا في عبارة: "أريد هذا الشيء".

---

[*] م.أ.ك. هاليداي(M.A.K. Haliday):
لساني أسترالي ولد ببريطانيا، طور التأثير العالمي للسانيات النسقية الوظيفية، واللغة عنده نظام سميائي م.أ.ك. هاليداي

[1]Christian Bachmanet autres, langues et communications sociales, p96.

[2]- للتعمق ينظر:
- M.L. Moreau ; et M.Richelle, l'acquisition du langage 2 ème ed. piere Mardaga, editeur bruscelles-lieges 1981, pp 123, 124.
- Christian bachman et autres, langage et communications sociales, p 96.
- ميلود حبيبي،الاتصال التربوي وتدريس الأدب، ط1 .المغرب:1993 ، المركز الثقافي العربي، ص 102.

2-الوظيفة التنظيمية: (Fonction regulatoire):

وتتحقّق حينما يوجه الطفل الأوامر للأشخاص المحيطين به، وتتجسّد في عبارات مثل: أَنجِزْ ما أطلبه منك، لنلعب هذه اللعبة.

3-الوظيفة التفاعلية: (Fonction Interactionelle)

تسمح بتبادل الأفكار والمشاعر وإنشاء علاقات مع الآخر.

4-الوظيفة الشخصية: (Fonction Personelle)

وتظهر عندما تُمنح للطفل فرصة التعبير عن الذات: بالإفصاح عن الأحاسيس الخاصة به، أهدافه لذاته... الخ.

5-الوظيفة الاستكشافية: (Fonction Heuristique)

وتكون في الوضعيات التي تمنح للطفل فرصة اكتشاف محيطه، وذلك بطرح أسئلة عن أسماء الأشياء المادية من حوله، لتنمو بطرح أسئلة تستدعي أجوبة متغيّرة غير ثابتة، يلخصها هاليداي بعبارة شاملة: "قُل لي لماذا؟" و هذا ما من شأنه أنْ يمنح له فرصة التعرّف على العناصر المنتمية إلى محيطه وتُشكِّل جزءا من حياته.

الوظيفة التَّخَيُّلِيَّة: (Fonction imaginative)

وتكون عندما يتيح لنفسه فرصة تَصوُّر عالم خاص به، كأن يتظاهر بحالة ما أو موقف معين لا يتطابق والحقائق الواقعية. وبذلك فمن رام دراسة اللغة حري به وضعها في الإطار الذي يقتضيه التواصل من معطيات مادية ومعنوية تحيط بالشخص، وتُفعِّل تواصله وتُوجِّهُه، وأكثر من هذا تُنَوِّع أداءاته وتُطوِّر كيفياته.

هذا ما سيتأكد في:

ب- **<u>المرحلة الثانية</u>:** التي حدّدها هاليداي، فهي حسبه " تتميّز بتضاعف مفاجئ لقائمة العبارات التي أصبح يمتلكها الطفل مقارنة بالمرحلة السّابقة، وكثير من الإنتاجات الصِبيانية تُشبه الآن كلمات بارزة في معجم الراشد"[1]

وما كان ذلك ليتحقّق لولا المحيط الذي نما فيه الطفل وما صاحبه من تفاصيل ميّزت السّياقات اللغوية المتنوعة التي ساهمت بشكل أو بآخر في نمو لغة الطفل إلى درجة تحقيق الاندماج في محيطه والتأثير في الأشخاص الذين من حوله والتعليق على ما يلاحظه، وهذا ما يكشف عن تحقق وظيفتين في هذه المرحلة:[2] الوظيفة التداولية (Fonction pragmatique)، والوظيفة التفسيرية (Fonction mathétique) في وقت قياسي تصاعدي. والعامل في إبرازها، هي تلك "العبارات الكاشفة عن الوظائف الأداتية، التنظيمية والتفاعلية، كلها الآن منتجة على زمن تصاعدي، تظهر أنّها تستدعي إجابة على شكل حدث أو على شكل فعلي"[3] تنبئ ولا شكّ بوجود قواعد تواصلية أخذت تُثَبِّتُ مواقعها في لغة الطفل. ليُؤكد هاليداي في موضع آخر على[4] وصف تلك الوظائف الثلاثة كشاهد على وظيفة أوسع هي الوظيفة التداولية التي ما وُجدت إلاّ للتأثير في المحيط.

وهكذا تحوّل الطفل من متأثر بمحيطه إلى مُؤثر فيه، لتكون هذه المرحلة وسابقتها مطيَّة لـ:

[1]M.L. Moreau ; et M.Richelle, l'acquisition du langage, p 125.
[2]Christian bachman et autres, langage et communications sociales, p 97.
[3]M.L. Moreau ; et M.Richelle, l'acquisition du langage, p 125.
[4]Idem, p 125.

ت- **المرحلة الثالثة:** تتوافق وسن الرشد الذي يبلغه الطفل، وهي مرحلة تضُم كلّ الوظائف السابقة المتعدّدة في وظائف جامعة مُنحصرة في ثلاث وظائف هي[1]:

1- الوظيفة الفكرية: (La Fonction idéationnelle)

يلجأ إليها الراشد حتىّ يعبّر بها عن التجربة الذّاتية التي اكتسبها من العالم المادي والاجتماعي.

2- الوظيفة ما بين الأشخاص: (La fonction interpersonnelle)

تَنتصِب بارزة على مستوى التفاعلات الاجتماعية التي ينشئها الفرد الراشد مع الآخرين، في تفاصيل حياته اليومية.

3- الوظيفة النصية: (La fonction textuelle)

هي وظيفة لسانية محضة، تمنح النص التواصلي المنتج اتساقَه وانسجامَه الداخلي. وعليه فبالتعمق في هذه الوظائف يؤكّد على اجتماعية اللّغة، فلا يمكن تصوّر تَحَقُّق وظيفة واحدة من تلك الوظائف بمعزل عن المجتمع سواء في إنشائها أو تطويرها.

كما أنّ هذه الوظائف تتمظهر في نسق لغوي خاصٍ يميّز وظيفة عن أخرى. و عليه فكلّ وظيفة لا تتحقّق إلاّ بتحقق نسيج لغوي يميزّها، والنسيج اللغوي لا يُطَّرَزُ دون وظيفة خاصّة تحدّد تَطْرِيزَهِ وفْق شبكة من الأنظمة تعيّن مجموع الاختيارات التي يمكن توظيفها في نقطة معينة من البنية اللغوية. وعليه فهاليداي "لا يفرّق بين النحو والكفاءة التداولية (...) فالمعنى الممكن تتقاسمه اللغة والمتحدث بها"[2] ولا

[1] Christian Bachman et autres, langage et communications sociales, 97
[2] Kirstan Malmkjaer ; The linguistics encyclopedia, p 53.

يمكن بأيّ حال من الأحوال تهميش أحدِهما أو التقليل من قيمته في العملية التواصلية، فالوظائف تُفَعِّل العبارات الكاشفة عنها، والعبارات تحدّد الوظائف الدافعة لوجودها في حقل تداولي يوفِّره المجتمع.

ومما تقدم من تعيين أنواع الوظائف حسب مراحل حياة الفرد الطبيعية، يلاحظ تقلّص عدد الوظائف كلّما انتقل الفرد من فترة عمرية إلى أخرى، لتُختزل وفي كل اللغات الطبيعية إلى ثلاث وظائف أساسية تقوم بها في الوقت نفسه هي: "الوظيفة التمثيلية" و"الوظيفة التعالقية" و"الوظيفة النصية"،[1] وهذا ما يؤكّد سعي هاليداي إلى تعميق دراسة اللغة في الإطار الذي يقتضيه التواصل، باعتباره كلا مركبا كَوْن "الإطار التواصلي يضم في وقت واحد محتوى الرسائل، الوضعية المتبناة من طرف المتكلم، التأثير المطبق على المرسل إليه والبنية الحوارية"[2]. وبهذه المعطيات المادية والمعنوية وما تحيل إليه اللغة من قوائم ثقافية واجتماعية مشتركة بين المتواصلين، يُتوسّم من التواصل أنْ يكون ناجحا، من باب أنّ "الوظيفة التمثيلية هي وظيفة التعبير عن تجربة المتكلم بالنسبة للواقع ونقل هذا الواقع إلى تصورات أو تمثلات ذهنية. والوظيفة التعالقية هي وظيفة التعبير عن الدور الذي يتَّخذه المتكلم تجاه مخاطبه وموقفه إزاء "النص" الذي يُنجزه. أمّا الوظيفة النصية فهي وظيفة تنظيم النّص المُنجز حسبما يقتضيه مقام إنجازه".[3] لكن هاليداي لم يقف عند حدود هذه الوظائف، بل أتبعها بثلاثة أنساق لغوية تُقابلها هي: "نسق التعديّة"، "نسق الصيغة" و"نسق المحور"[4]. كلّها تعكس الوظائف الثلاثة بالتتابع، ولكل نسق

[1] أحمد المتوكل، اللسانيات الوظيفية، مدخل نظري، ص 36.
[2] M.L. Moreau ; et M.Richelle, l'acquisition du langage, p 128.
[3] أحمد المتوكل، اللسانيات الوظيفية ، مدخل نظري، ص 37.
[4] المرجع نفسه، الصفحة 37.

بنيات تحدّد مستويات التحليل يُوضحها الشكل الموالي:

الوظيفة	الجملة / تعبير عن حدث / الأنساق	أفحم	زكريا	الحضور	اليوم	بالحجّة	نوع البنيّة	ملاحظات
الوظيفة التّمثيليّة	نسق التّعديّة		المشاركان		ظروف الحدث		دلالة البنيّة	مفاهيم دلاليّة
		حدث	منفّذ	متقبل	زمان	أداة		
الوظيفة التّعالقيّة	نسق الصّيغة	صيغة	قضيّة				بنيّة نحويّة	موقف المتكلّم من المخاطب ومن الحدث اللّغوي ذاته كما يتضمن مفهوم الصيغة(أمر ...) والجهة (نفي، يقين
		محمول	فاعل	فضلة	توابع			

							إمكان)
الوظيفة النّصيّة	نسق المحور باعتبار الجملة نصا		محور	تعليق		بنية وظيفيّة	علاقات ذات طابع تداولي
	نسق المحور باعتبار الجملة حمولة إخباريّة	معطى		جديد			

جدول يجسّد بنية الأنساق المحدّدة لمستويات التّحليل عند هاليداي

المحور: موضوع الحديث + المعلومة المشتركة بين المتخاطبين حول موضوع الحديث.

التعليق: هو المعلومة الجديدة ونبر الجملة المعبر عنها.

المحمول: دلّ في هذه الجملة على حدث، وقد يدل على عمل أو حالة في تراكيب أخرى: نحو: أكلت سكينة تفاحة (عمل)، غيلاس هادئ (حالة).

الجملة باعتبارها نصا: أي سلسلة من العناصر المنظمة طبقا للموقف التواصلي الذي يمكن أن ننجر فيه.

وبالرغم من ذلك الالتحام الثابت بين الوظائف والانعكاسات الصورية لتلك الوظائف، إلا أنّ ذلك لم يمنع من بروز ذاك التمايز بين ما هو لغوي منها وما هو غير لغوي. فأهّل ما كان في حيّز اللغة ليكون موضوع الدرس اللغوي لا لشيء إلاّ لأنّه يظهر الخصائص البنيوية للغة باعتبارها انعكاسا لما هو خارج اللغة. والتحليل التركيبي لهذه الانعكاسات الصورية هو ما يعرف بالقواعد النظامية أو النسقيّة (Systemic grammar) وهي " تُعْنى بطبيعة الاختيارات المتعدّدة التي يستخدمها الشخص شعوريا أو لا شعوريا، عندما يلفظ جملة معيّنة من بين الجمل غير المتناهية التي تتوفر عليها لغته"[1]؛ إذ طبيعة الاختيار الذي يستقرّ عليه حسب المقام تمليه عليه طبيعة الوظيفة السابقة للاختيار. وبهذا يكون هاليداي قد أقام وزنا للّسياق الاجتماعي وللمستوى الدلالي وللنظام اللغوي، ويعتبرها عناصر أساسية فاعلة و مُفعِّلة لكل تواصل ناجح.

ولو عدنا إلى تحليل هاليداي لوجدنا تركيزه فيما يعني وظائف اللغة وُجِّه إلى الثلاثة الأخيرة، بالرغم من كون وظائف اللغة غير محدودة وغير متناهية – بتعبير بعض المهتمين– لأنّ هذه الوظائف الثلاثة[2] تَحْتكم على خاصيتين غير موجودتين في غيرها من الوظائف هي:

1-وُرودها بجميع اللغات الطبيعية.

2-تَحديدها لبنية اللغة.

[1]أحمد مومن، اللسانيات النشأة والتطور، ص 185.
[2]أحمد المتوكل، اللسانيات الوظيفية، مدخل نظري، ص ص 52،53.

ولو حاولنا التمعّن في هاتين الخاصيتين لتأكّد لنا إنسانية اللغة واجتماعيتها هذا من جهة، ومن جهة أخرى لَوَقَفنا عند درجة الوعي الذي يصاحب استعمالها. وتأكيد أحمد المتوكل على استقلالية الوظائف الثلاثة عن بعضها البعض بحكم تمايز الواحدة عن الأخرى لا يعني البتة تنافرها، وعدم تكاملها في العملية التواصلية، بل هي متكاملة ومتآزرة من أجل غاية واحدة هي التواصل،[1] مستندا في ذلك على رأي سيمون ديك حين بيّن أنّ للتواصل أبعادا مختلفة، تتكامل كلّها لتأدية وظيفة التواصل، شأنها في ذلك شأن الوظائف النسقيّة الثلاث وهذه الأبعاد هي:

1- بعد علاقي

2- بعد توجيهي.

3- بعد إخباري

4 - بعد تعبيري

5- بعد استثاري.

بعضها منبثق من غيره من الأبعاد المذكورة، والبعض الآخر يعتبر امتدادا لغيرها. ومهما يكن من أمر فمن تعدّد هذه الأبعاد واختلافها يتبيّن لنا أنّ سيمون ديك يركز في نظرته على كفاءة المتكلمين حتى يُوّفَّقوا في إدراك هذه الأبعاد[2]، وهذا لم يمنعه حسب أحمد المتوكل من اعتبار التواصل نشاطا اجتماعيا[3] ،بواسطته يتمكّن المتواصلان من تغيير معلوماتهما التداولية المصنّفة إلى ثلاثة أصناف هي:

---

[1]أحمد المتوكل، المرجع نفسه، ص 56.

[2]Kirsten Malmkjar, the linguistics encyclopedia, p530.

[3]أحمد المتوكل، اللسانيات الوظيفية، مدخل نظري، ص56.

1- المعلومات العامة.

2- المعلومات المَوْقفية (آنيّة) .

3- المعلومات السِّيَاقية (سابقة).

وعليه، فحسبه التواصل ينتهي بإقامة معلومات تداولية جديدة عند المتواصلين، لا تخرج عن نطاق أصناف المعلومات الثلاثة السابقة، بها تُحدّد أبعاد التواصل، وتُوَّضح أغراضُه كما سيوَضِّحُه الشكل التالي:

العامل في تحديد نوع التواصل	**نوع التواصل**	**التفصيل في نوع التواصل**	**مثال**
بالنظر إلى العلاقة بين المتكلم والمخاطب	علاقي		علاقة بين أب وابنه
بالنظر إلى محتوى الخطاب	توجيهي	المطلوب عمل	اِنْجَحْ
		المطلوب قول	هل نجحت
	إخباري	القصد الإخبار عن شيء	نَجَحْتُ
	تعبيري	تعبير عن إحساس	يَا لِنَجَاحِكَ
	استثاري	استثارة إحساس	نَجاحُك نَجَاحِي

ولو أسقطتُ هذا الشكل على الشكل الذي حدّد نظرة هاليداي إلى التواصل وشرح بناء الوظائف الثلاث عنده لتبيّن لي أنّ نظرة سيمون ديك تبنّت نفس البناء الذي أقامه هاليداي، لكن بشيء من التوسُّع.

المحاضرة الثالثة عشر

مدرسة أوكسفورد

استثار الاهتمام باللغة في الاستخدام العديد من المهتمين، فإذا كان بنفنست بجرأته يشكل تمردا على التقليد الذي أقامته البنوية في دراسة اللغة بأن حوّل الاهتمام إلى التلفظ فإنّ "التلفّظ هو الأساس الذي بنى عليه (أوستين)* نظرية الأفعال اللغوية ومن بعده سيرل**، بوصفه ممارسة المرسل لينجز فعلا لغويا، يتلاءم مع السياق..."[1] هذا الامتداد في الدراسة تجسّد في تناول التلفّظ في خضم ما يحيط به من ظروف يتم فيها، وهوية المتخاطبين ومقاصدهم.

والمستقرئ لجهود الفلاسفة منذ الأزل يجد أنّ علماء المنطق عكفوا على دراسة اللّغة، وأقسام الكلام، فتوصلوا إلى تمييز الصيّغ الخبريّة عن غير الخبريّة،" أمّا الصيّغ الخبريّة والّتي هي التّعبير اللّفظي عن القضيّة، لها خاصيّة القبول والكذب، جاعلة للخبر ميزة كونه موضوعا للدراسة المنطقية، في مقابل الصيّغ الأخرى التي ألحقها أرسطو بعلم البلاغة "[2]، فساد الاعتقاد أنّ اللّغة هدفها وصف الواقع. وتموضع أسّا للفلسفة

---

* **جون لونجشير أوستين: John Langshir Austin: 1911-1960:**

أستاذ فلسفة الأخلاق بجامعة أوكسفورد، وكان علما مشهورا في الأوساط الأكسفوردية وكذا في كمبردج وفي الجمعيات العلمية بانجلترا والولايات المتحدة الأمريكية، يعد مؤسس تداولية أفعال الكلام، من أهم أعماله مجموعة من المحاضرات 12 محاضرة جمعها طلبته ونشروها بعد وفاته.

** **جون ريد سيرل: John Read Searl:** من مواليد 1932 يعتبر من أهم أقطاب الفلسفة الأمريكية الحديثة، يحتل موقع الصدارة بين أتباع أوستين ومريديه، إذ أعاد تناول نظريته أفعال الكلام وطور فيها بعدين من أبعادها الرئيسية هما: المقاصد والمواضعات.

[1] عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتجيات الخطاب ،ط1. لبنان: 2004 ، دار الكتاب الجديدة المتحدة، ج1 ،ص29

[2] طالب هاشم طبطبائي نظرية الأفعال الكلامية مجلة عالم الفكر المعاصر،ع98 ،99 ،1992 ،ص65

التحليلية، وقد استغل أوستين الدراسة التي أقيمت حول أعمال الفيلسوف وليام جيمس *William James عام 1955 ليعلن رفضه[1] لهذا المبدأ من باب أنّ هناك جملا ليست استفهامية (non Interrogatives)، ولا أمرية(non Impératives)، ولا تعجبية (non Exclamatives)، لا تصف شيئا ولا يمكن الحكم عليها بمعيار الصدق أو الكذب، بمعنى لا تستعمل لوصف الواقع (الحقيقة) بل لتغييره " فهي لا تقول شيئا عن حالة الكون الرّاهنة أو السّابقة، إنّما تغيّرها أو تسعى إلى تغييرها"[2] ويسوق لنا أوستين في كتابه [3] Quand dire c'est faire ولاسيما في المحاضرة الأولى مجموعة من الجمل لا نصِف بها العالم، ولا واحدة منها صحيحة أو خاطئة في معيار الأحكام، الجمل لا نصِف بها العالم، ولا واحدة منها صحيحة أو خاطئة في معيار الأحكام **وبالرغم من ذلك فهي ليست استفهامية ولا أمرية ولا تعجبية وسماها بالجمل الإنشائية أو الإنجازية (Performatives) *** لأن أفعالها تدل على تنفيذ فعل ما. ويسمي هذه الأفعال بالأفعال الإنجازية (Actes performatifs)، وبالرغم من أن هذه الجمل لا تخضع لمعياري[4] الصدق والكذب إلا أنها تخضع لمعياري النجاح والفشل. وحتى تكون ناجحة يجب أن تخضع لبعض الشروط[5] بغياب هذه الأخيرة تكون حتما فاشلة.

* فيلسوف أمريكي رائد التيار الفلسفي النفعي . والنفعية هي مذهب يتخذ القيمة العملية التطبيقية قياسا للحقيقة.

[1] آن روبول و جاك موشلار ، التداولية اليوم ،تر/ سيف الدين دغفوس ومحمد الشيباني ، ط1 .لبنان: 2003، دار الطليعة ، ص ص29،30

[2] المرجع نفسه، ص30.

[3] J.L. AUSTIN quand dire c'est faire trad et introduction de G.LANE ed seuil paris 1970

** من بينها :أعمدكBABTISER باسم الأب والابن والروح القدس ،آمرك ، أعدك، أقسم.للتعمق أكثر ينظر كتابه: QUAND DIR C'EST FAIRE المحاضرة الأولى ص 41

*** قابل بها الجمل الوصفية أو التقريريةCONSTATIVES

[4] J.L.AUSTIN quand dire c'est faire pp51-52

[5] DJILALI dallache introduction a la pragmatique linguistique Algerie O.P.U 1993 p22

كما يشير أوستين إلى أن كل جملة تامة مؤداة يقابلها إنجاز عمل، وهذا ما يتضح لنا من خلال تصوره وتحليله للفعل اللغوي؛ إذ يرى أنّ كل قول عبارة عن إنجاز عمل ما، فاستوقفته الأعمال اللغوية وميز منها ثلاثة[1]:

1- العمل الصوتي: **Acte Phonétique**:

هو عمل قول شيء ما، ويتحقق بإنتاج سلسلة من الأصوات المتتابعة يصدرها الجهاز الصوتي للإنسان.

2- العمل التبليغي: **Acte phatique**:

وهي الهيئة التي تكون عليها تلك الأصوات المنتمية إلى لغة معينة والخاضعة لقواعدها النحوية ويتحقق هذا العمل بقولنا شيئا ما. والتلفظ هنا أضحى عمل إنتاج وحدة تبليغية **(Un phème)**.

3- الفعل البلاغي: **Acte Rethique**:

ويتحقق باستعمال الألفاظ والعبارات في معاني معينة بالاعتماد على المرجع الأساس ما من شأنه أن تكون لها قوة تأثيرية في مشاعر المتخاطبين وأفكارهم، وهو عمل يتحقق كنتيجة لقول شيء ما. وعليه فالعمل اللغوي يتحدد في مجموع الأفعال الثلاثة (الصوتي، التبليغي، البلاغي). ولكن أوستين لم يقف عند هذا فحسب بل ميز كذلك بين ثلاثة أفعال عند استعمال الخطاب هي[2]:

1- الفعل الكلامي **(Acte locutoire)**

2- الفعل الإنشائي\الإنجازي **(Acte illocultoire)**.

3- الفعل التأثيري **(Acte perlocutoire)**.

[1] J.L. AUSTIN idem p108
[2] J.L.Austin Idem pp 109-137.

فإذا كان الأول نشاط لغوي يعبر عن إنتاج قول وفق تركيب معين، فإن الثاني ينجر عنه تثبيت المعنى الصحيح المراد قوله في الخطاب كثيرا ما يتدخل القصد في تنفيذه، وعليه يحتكم إلى قوة يطبقها على المتخاطبين يسميها بالقيمة الإنجازية[1] **(Valeur illocutoire)** أما الثالث فيدل دلالة واضحة على الآثار التي يتركها فعل الكلام. وما تتفرد به[2] الأقوال التأثيرية إمكانية تحديدها وتحقيق النجاح في بلوغها[*] دون الرجوع إلى الألفاظ التعبيرية، ودون توظيفها.

وفي المحاضرة الأخيرة قسّم الأفعال الإنجازية إلى مراتب[3]:

1 – حكمية **(Verdictifs)**

2– ممارستية **(Exercitifs)**

3– وعدية **(promissifs)**

4– سلوكاتية **(Comportatifs)**

وهذه الأنواع متداخلة فيما بينها، للسياق دور فاعل في جعلها مشتركة في هدف معين.

وبذلك فلكل فعل نتيجة تعبيرية تكمن في التلفظ بالكلمات والعبارات، ونتيجة إنشائيةإنجازية دعامتها الوضع والعمل الناتج في التلفظ، وأخيرا نتيجة تأثيرية تتجسد في ردود الأفعال، وكل هذا في كنف الحيثيات الخاصة المحيطة بالفعل والتي تنتصب عوامل

[1] J.L. AUSTIN idem p113

[2] J.L. AUSTIN idem p124

[*] بالرغم من هذا الاجتهاد الجاد في التمييز بين أنواع الأفعال إلا أنه يقر بانعدام معايير محددة وفارقة بين هذه الأفعال . ليعود ويظهر دور الظروف المحيطة بالخطاب لتحديد نوع الفعل.

[3] J.L. AUSTIN idem 153

مؤثرة في عملية إنتاج الأقوال، هذه الأقوال هي عنده أفعال كلامية تسهم بطريقة أو بأخرى في الكشف عن آليات الخطاب التي قد تكون متنوعة في طرق صوغها.

سيرل وأفعال الكلام:

انتقد أوستين نفسه في كثير من المواقف من بينها تداخل المراتب الخمس للأفعال الإنجازية.

وهو يبني فكره فيما يعني نظرية أفعال الكلام، ولكن ذلك لم يؤخر انتقادات الآخرين له فيما ذهب إليه، بل سمحت لهم إعادة بناء بعض المفاهيم التي سبقهم إليها والانطلاق منها لإرساء مفاهيم جديدة، أتمت تأسيس علم الاستغناء عنه في تحليل العمليات التلفظية ضرب من أضرب تجاهل العناصر الفاعلة في التأدية اللغوية، ومن بين هؤلاء سيرل " فقد أعاد تناول نظرية أوستين وطور فيها بعدين من أبعادها الرئيسية هما المقاصد والمواضعات"[1] فلكل مخاطب مقصد وهدف يسعى إلى تحقيقه، ولذلك يستنفر ما بحوزته من آليات لغوية، ويحرص أشد الحرص على اقتناء منها ما يعبر عن هدفه ومقصده بكل وضوح، فيخرج الخطاب بكيفية معينة معتمدا على اللغة بكونها المادة الرئيسية لذلك، وبذلك تتحدد الأعمال اللغوية والجمل التي أنجزت بواسطتها وسيلة تواضعية للتعبير عن المقاصد وتحقيقها، وتلك الكيفية التي يخرج بها الخطاب لا شك أنها وليدة إستراتيجية يتبناها المخاطب دفعته إليها حيثيات الخطاب و" قد تنعكس إستراتيجية الخطاب في مستويات الخطاب المعروفة، من مستوى صرفي تركيبي دلالي وصوتي، من خلال أدوات وآليات لغوية معينة "[2] وإذا كان الحال كذلك، يكون سيرل قد اعتبر العمل اللغوي في بعده التواضعي جزءا من اللسان " الذي نتكلمه فنتبنى آليا شكلا من أشكال السلوك القصدي

[1] آن روبول وجاك موشلار ، التداولية اليوم ، ص33

[2] عبد الهادي بن ظافر الشهري ، استراتجيات الخطاب،ج1، ص167

المسير بنظام من القواعد "[1] وهذا ما يؤكد أنه أولى اهتماما للعمل التبليغي مقارنة بالعملين الآخرين اللذين حددهما أوستين، وهي مجتمعة يرى سيرل أنها غير كافية لاكتشاف الكيفيات التي تستعمل فيها اللغة؛ إذ " إنه لأسباب مختلفة نكتشف أن هناك خمس طرق لاستعمال اللغة، خمسة أصناف لاستعمال الفعل الإنشائي، كأن نقول للآخرين كيف هي الأمور (الإثبات)، ونحاول القيام بأشياء للآخرين (التوجيه) ونلتزم بفعل أشياء (الوعد) كما نعبر عن مشاعرنا ومواقفنا (التعبير)، ونُقْدم على القيام بتغييرات في العالم عن طريق ملفوظات أي (الإعلان)"[2] وعليه تتنوع الاستعمالات اللغوية وتتفرع من تنوعها خمس فصائل تمثل عنده الطرق الممكنة لاستعمال لسان من الألسنة، وهي:

1- أفعال إثباتية[3]:(Actes Assertifs)

غايتها التزام المتكلم بوجود أوضاع جديدة للاستياء تجعله ينخرط في حقيقة القضايا المعبر عنها، لتعين قيم الحقيقي والخاطئ، وهكذا تجهد الكلمات نفسها لمطابقة الواقع، وتشمل أفعال الوصف والتحديد والتأكيد.

2- أفعال توجيهية: (Actes Directifs):

وغايتها دفع المتكلم المخاطب إلى القيام بشيء ما، قد يبدأ بأدناها غلظة كطريقة للطلب، لينتهي بأقصاها؛ أي من النصح والإرشاد والتوجيه إلى المطالبة الإجبارية على وجه الإلزام، وتشمل هذه الأفعال: النصح، الترجي، الالتماس، النهي، الأمر، الطلب.

[1] شكري المبخوث ، نظرية الأعمال اللغوية ،ص187

[2] J.R.SEARL sens et expression étude de théorie des actes de language trad.et préface par :JOELL PROUST ed Minuit paris 1982 p32.

[3] J.R.SEARL idem pp52-53

3- أفعال وعدية: (Actes Commissaires)

الغاية منها أخذ التزام من المتكلم بتبني سلوك أو القيام بفعل ما[1] في المستقبل وهذه الأفعال: التزام، تعهد وافق. وفي ذلك لم يخرج سيرل عن تعريف أوستين لهذا النوع من الأفعال.

4- أفعال إفصاحية: (Actes Expressifs):

الهدف منه هو التعبير والإفصاح عن حالة نفسية معينة تشمل أفعال: الشكر، التهنئة، الاعتذار،التعزية، التأسف، الترحيب[2].

5- أفعال إعلانية: (Actes Déclaratives):

تسعى هذه الأفعال[3] إلى غاية مفادها إحداث تغيرات عن طريق الإعلان وتشمل: الإعلان، الإعلام، الإخطار... وتتجلى هذه الأفعال عند إنجازنا لها بنجاح ولا يتحقق لنا ذلك إلا بتوفر شروط خاصة.

بعد هذا التصنيف أضاف سيرل تصنيف آخر للفعل اللغوي حدده في صنفين، هما:

1- الأفعال المباشرة

2- الأفعال غير المباشرة.

فإذا كانت الأولى تحتكم إلى تطابق تام[4] بين معنى الجملة المتلفظة والدلالة اللغوية التواضعية، أي بين معنى القول ومعنى الجملة. فإن الثانية تجسيد لواقع آخر نسبي بتواتر في المواقف التخاطبية وهي " الحالات التي يكون فيها معنى القول منافي تماما لمعنى الجملة بطرق وكيفيات مختلفة "[5]؛ إذ كثيرا ما يقتني المتكلم صيغا قولية متخذا من معناها

[1] J.R.SEARL idem pp53-54
[2] J.R.SEARL idem pp54-56
[3] J.R.SEARL idem pp 56-60
[4] J.R.SEARL idem p 71
[5] J .R.SEARL idem p 71

المباشر مطية للوصول إلى المعنى غير مباشر؛ بمعنى أن هذه الصيغ القولية لا تدل على معناها الذي تنشئه بل تدل على معنى مخالف لمعناها الظاهر، لكن الاهتداء إليه ليس عملية سهلة لأن القائل[1] في عمل لغوي غير مباشر ينجز عملين في آن واحد، الأول ينجزه بالجملة المصرح بها والثاني ما ينوي إنجازه بها. وتعتمد هذه الأفعال على توظيف أساليب في غير معناها الحقيقي، التلميحات، المجاز، الإشارات... هذا ما مكنه بعدها من التفريق بين الفعل الإنجازي الأول(**Acte illocutoire primaire**) والفعل الإنجازي الثانوي (**Acte illocutoire secondaire**)[2] وتحديد فصائل الأفعال غير مباشرة.

تلك إذا هي تصورات سيرل فيما يتعلق بأفعال الكلام، ولاسيما الطرح الفكري للأفعال غير مباشرة التي كرس بها الظروف الخارجية المحيطة بالخطاب، والظروف النفسية التي تختلج أثناءه المتكلم والمستمع.

ومما تقدم فاللغة ليست تمثيلا للعالم فحسب، بل إنجاز أفعال ضمن وضعية تولي اهتماما للمقاصد وهوية المتكلمين ومزايا المكان والزمان، أي إنجاز فعل معين في سياق معين، وبذلك تعد التداولية استطالة لسانية أخرى للسانيات التلفظ التي دشنها بنفنست[3].

---

[1] آن روبول ،جاك موشلار، التداولية اليوم،ص ص58،59

[2] للتعمق اكثر ينظر:

J.R.SEARL idem, pp 75-100.

[3] فرانسواز أرمنكو، المقاربة التداولية،/تر: سعيد علوش، د ط .الرباط:1986، مركز الإنماء القومي،ص9

المحاضرة الرابعة عشر:

المدرسة الخليلية.

المدرسة الخليلية إلى الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح تنسب كمؤسس لها وهو من مواليد مدينة وهران في 8 جويلية 1927م، وهو من عائلة معروفة نزح أسلافها من قلعة بني راشد المشهورة إلى وهران في بداية القرن التاسع عشر. **درس في المدارس الحكومية الفرنسية في فترة الاستدمار الفرنسي، وفي الوقت نفسه كان يتلقى دروسًا بالعربية مساء في إحدى المدارس الحرة التي أنشأتها جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، والتحق وهو ابن خمس عشرة سنة بحزب الشعب الجزائري.**

وبعد أن أتمّ تعليمه المدرسيّ، بدأ في دارسة الطب وفي سنة 1954توجه إلى مصر ليكمل دراسة التخصص في جراحة الأعصاب، ولما كان يتردد على جامع الأزهر وكان يحضر إلى بعض دروس اللغة العربية، وإذا به يجد نفسه يعيد اكتشاف ذاته من جديد ويتعرف على تراث اللغة العربية بوعي جديد؛ فحوّل اهتمامه من حقل الطب إلى الدراسات اللغوية المعاصرة وهناك اكتشف أهمية التراث العلمي اللغوي العربي ولا سيّما من خلال ما اطّلع عليه من كتاب سيبويه، واتضح له الفرق الكبير الذي لاحظه بين وجهات النظر الخاصة بالنحاة العرب الأقدمين وما يقوله المتأخرون منهم، وكان هذا دافعًا مهمًّا في حياته العلمية.

ولم يستطع أن يكمل دراسته في مصر فالتحق بجامعة بوردو (BORDEAUX) بفرنسا بعد أن ساهم في ثورة أول نوفمبر لمدة سنوات، ثم نزل

بالمملكة المغربية والتحق بثانوية "مولاي يوسف" في الرباط كأستاذ اللغة العربية، واغتنم الفرصة لمواصلة دراسة الرياضيات في كلية العلوم، وهذا أيضًا حادث أثَّر في حياته الثقافية، وقرَّبَه أكثر من اللغوي العبقري الخليل بن أحمد.

وبعد حصوله على التبريز في اللغة العربية أوكل إليه الإخوة في المغرب تدريس اللسانيات في كلية الآداب بالرباط باللغة العربية في 1961م/1962 (لأول مرة في المغرب العربي).

وبعد الاستقلال قضى حياته أستاذًا وباحثًا في جامعة الجزائر، وعيّن في سنة 1964م رئيسًا لقسم اللغة العربية وقسم اللسانيات، ثم انتخب عميدًا لكلية الآداب، وبقي على رأس هذه الكلية إلى غاية 1968م. وفي سنة 1968 كان أستاذا زائراً بجامعة فلوريدا حيث التقى بالعالم اللساني آنذاك نعوم تشومسكي، فجرت بينهما مناظرة أفحمت هذا الأخير. وتفرغ بعد ذلك للدراسة والبحث في علوم اللسان حيث استطاع بمساعدة الدكتور أحمد طالب الإبراهيمي (وزير التربية آنذاك) أن ينشئ معهدًا كبيرًا للعلوم اللسانية والصوتية وجهّزه بأحدث الأجهزة وأسس أيضًا مجلة اللسانيات المشهورة. وفي هذا المعهد واصل الأستاذ بحوثه بفضل المختبرات المتطورة الموجودة فيه وأخرج تلك النظرية التي لقبت في الخارج "**بالنظرية الخليلية الحديثة**"(وهي مطروحة في الرسالة التي نال بها دكتوراه الدولة في اللسانيات من جامعة السوربون في سنة 1979م).

وفي عام 1980م أنشأ ماجستير علوم اللسان وهو نسيج وحده لأنه متعدد التخصصات، وقد نوقشت عشرات الرسائل منذ أن أنشئ. وبقي معهد اللسانيات

والصوتيات سابقًا صامدًا يؤدي مهامه بفضل سهر الأستاذ على النوعية العلمية التي كان يهتم بتخريجها.

وقد تولدت لديه فكرة أطروحة الدكتوراه التي أنجزها بعد عناء عشر سنوات من البحث والتنقيب حول أصالة النحو العربي ، واهتدى آنذاك إلى مشروع الذخيرة اللغوية العربية عن طريق البرمجة الحاسوبية، وكان أول عالم عربي يدعو إلى ذلك المشروع، كما كان أول الداعين إلى تبني المنهج البنيوي وإنشاء محرك بحث عربي " **قوقل google عربي**" وفي سنة 1988عين الدكتور عبد الرحمن حاج صالح عضوًا مراسلاً بمجمع اللغة العربية بالقاهرة، ثم انتخب عضوًا عاملاً به سنة 2003م في المكان الذي خلا بوفاة الدكتور إبراهيم السامرائي، وسبق ذلك أن عُيِّن عضوًا في مجمع دمشق في 1978م، ومجمع بغداد (1980م) ومجمع عمّان (1984م).

وهو عضو في عدة مجالس علمية دولية وعضو أيضًا في لجنة تحرير المجلة الألمانية التي تصدر ببرلين.

الإنتاج العلمي والمنشورات:

للدكتور الحاج صالح عديد البحوث والدراسات نشرت في مختلف المجلات العلمية المتخصصة (بالعربية والفرنسية والإنجليزية) منها:

- "**معجم علوم اللسان**"، (بالمشاركة)، مكتب تنسيق التعريب،1992م.

- "**علم اللسان العربي وعلم اللسان العام**" (في مجلدين)، الجزائر.

- مقالة "**لغة**" و مقالة "**معارف**" في دائرة المعارف الإسلامية الطبعة الجديدة.

- "**بحوث ودراسات في علوم اللسان**"، (عربية وفرنسية وإنجليزية) بالجزائر2012. يضم الكتاب سلسلة من البحوث والدراسات نشرت في مجلة ((اللسانيات في تاريخ علم اللسان من أقدم العصور)) ويحتوي أيضا على بحوث نشرت في مختلف المجلات الدولية في علوم اللسان باللغة الأجنبية، ولاسيما الدراسات المخبرية.

- **بحوث ودراسات في اللسانيات العربية** في جزأين الجزائر2012.يضم مجموعة من الدراسات تخص اللسانيات العربية والكثير منها كان أصله بحثا قدمه العلامة في مؤتمر علمي دولي مثل المؤتمرات الدورية لمجمع اللغة العربية بالقاهرة وغيرها (من1965 إلى2005) ومن أهم ما جاء فيها البحوث التي تعالج النظرية الخليلية الحديثة.

- **الخطاب والتخاطب في نظرية الوضع والاستعمال العربية**، الجزائر 2012. وفيه وضح المفاهيم العلمية التي تخص الكلام كحدث في مقابل اللغة كنظامفي إطار نظرية الوضع والاستعمال العربية وبصفة خاصة ما يتعلق بالخطاب وظواهر التخاطب وأوصافه وأصوله.

- **السماع اللغوي العلمي عند العرب ومفهوم الفصاحة**. الجزائر.

- أربع مقالات: **الخليل بن أحمد، والأخفش، وابن السراج، والسهيلي**، في موسوعة أعلام العرب (المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم).

وتكرم رئيس الجمهورية عبد العزيز بوتفليقة بتعيينه رئيسًا للمجمع الجزائري للغة العربية سنة 2000م، وقد تحصل على **جائزة الملك فيصل عام 2010** تقديراً لجهوده العلمية المتميزة في تحليله النظرية الخليلية النحوية وعلاقتها

بالدراسات اللسانية المعاصرة، ودفاعه عن أصالة النحو العربي، وإجرائه مقارنات علمية بين التراث ومختلف النظريات في هذا الموضوع، فضلا عن مشاركاته في الدراسات اللسانية بحثاً وتقويماً وتعليماً، وجهوده البارزة في حركة التعريب.

نشاطه المجمعي:

منذ أن عين الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح عضوًا بالمجمع وهو يشارك في مؤتمرات المجمع بالأبحاث وبإلقاء المحاضرات، ومنها:

– "أصول تصحيح القراءة عند مؤلفي كتب القراءات وعلوم القرآن قبل القرن الرابع الهجري". (مجلة المجمع ج 90).

– "الجوانب العلمية المعاصرة لتراث الخليل وسيبويه". (مجلة المجمع ج 92).

– "تأثير الإعلام المسموع في اللغة العربية، وكيفية استثماره لصالح العربية". (مجلة المجمع ج 94).

– "تأثير النظريات العلمية اللغوية المتبادل بين الشرق والغرب: إيجابياته وسلبياته". (مجلة المجمع ج 96).

– "المعجم العربي والاستعمال الحقيقي للغة العربية". (مجلة المجمع ج 98).

– "حوسبة التراث العربي والإنتاج الفكري العربي في ذخيرة محوسبة واحدة، كمشروع قومي". (مجلة المجمع ج 103).

وتعبر النظرية الخليلية الحديثة لعبد الرحمن الحاج صالح من أبرز ما يمثل لسانيات التراث في الفكر العربي المغاربي المعاصر لقيامها على أسس أصيلة

تميز النظرية من غيرها هي " الأصالة، والتحكم في المنهج الامتداد الزماني والمكاني، والتطور في المفاهيم وصلاحها لكثير من اللغات، ولها أتباع ومريدين"[1] ويشير صاحبها إلى أن موضوعها اعتمد على" ما وصل إلينا من تراث في ما يخص ميدان اللغة، وبخاصة ما تركه لنا سيبويه(180ه) وأتباعه ممن ينتمي إلى المدرسة التي سماها بالخليلية وكل ذلك بالنظر في الوقت نفسه إلى ما توصلت إليه اللسانيات الغربية "[2]، ويتحدد بذلك موضوع هذه النظرية في مقارنة حصيلة الدراسات اللغوية القديمة بنتائج اللسانيات، وفي تصريح آخر يشير صاحب النظرية إلى معالم المنهج المعتمد لتناول هذا الموضوع بالدراسة، ويحدده في " قراءة جديدة لما تركه الخليل بن أحمد الفراهيدي (170ه) وتلميذه سيبويه خاصة، وجميع من جاء بعدهما من النحاة الذين اعتمدوا في بحوثهم على كتاب سيبويه، إلى غاية القرن الرابع، كشروح كتاب سيبويه وغيره أضف إلى ذلك البحوث التي كتبها بعض العباقرة من العلماء كالسهيلي (581ه) وعبد القادر الجرجاني(471ه) والرّضي الأستراباذي (686ه) وغيرهم"[3] في حين يفصح عن غاية هذه النظرية بالقول :" تقويم النظرية اللغوية العربية التي كانت أساسا لأغلب ما يقوله سيبويه وشيوخه، ولا سيما الخليل وكيفية مواصلة هذه الجهود الأصيلة في الوقت الراهن، ويبدأ بوصف المبادئ المنهجية التي بنيت عليها هذه النظرية، وذلك بالمقارنة بين المبادئ التي تأسست عليها اللسانيات الحديثة وخاصة البنوية والنحو التوليدي التحويلي وبين هذه

---

[1] صالح بلعيد، مقالات لغوية،دط.الجزائر:2004،دار هومة،ص53.

[2] عبد الرحمن الحاج صالح((المدرسة الخليلية الحديثة والدراسات اللسانية الحالية في العالم العربي))، أعمال الندوة الجهوية التي عقدت بالرباط سنة1987: تقدم اللسانيات في الأقطار العربية، منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة (يونسكو) ط1. بيروت:1991، دار الغرب الإسلامي، ص ص 367،368.

[3] عبد الرحمن الحاج صالح، النظرية الخليلية الحديثة: مفاهيمها الأساسية ، د ط . الجزائر: 2007، مركز البحث العلمي والتقني لتطوير اللغة العربية، ص5.

النظرية"[1] مبديا ولاءه المطلق للنظرية اللغوية العربية الذي يشكل التراث الرافد الأصيل لها، وجاءت بأسس إجرائية حددت به المفاهيم وفق منطق علمي رياضي بنيت عليه، وهذا ما أهلها لتكون أعم وأشمل من النظرية اللسانية البنوية والنظرية اللسانية التوليدية التحويلية، نقاط فارقة جعلتها مدعاة لتسليط الضوء عليها ومقارنتها مع النظريات اللسانية الحديثة. وبالعودة إلى التراث اللغوي العربي والتعمق في ما تركه السلف تمكن العلامة من استخلاص مقاييس النظرية النحوية العربية وبنى عليه نموذج لساني حديث مؤهل لإثراء اللغة العربية على مستوى التنظير وخدمتها على مستوى التطبيق هذا من جهة، ومن جهة أخرى لإظهار قيمتها وانفرادها بالسبق في الطرح مقارنتها بغير ها من النظريات اللسانية الغربية التي برزت عند الغرب أضحى إجراء لابد منه. وفي موضع آخر يشير إلى المفاهيم الأساسية التي بنيت عليها النظرية وكيفية استغلالها حيث يقول:" اعتمد العلماء العرب– وزعيمهم في ذلك الخليل– على عدد من المفاهيم والمبادئ لتحليل اللغة وأهمها هي: – مفهوم الاستقامة وما إليها وما يترتب على ذلك من التفريق المطلق بين ما يرجع إلى اللفظ وبين ما هو خاص بالمعنى.

– مفهوم الانفراد في التحليل وما يتفرع من هذا المفهوم.

– مفهوما الموضع والعلامة العدمية.

– مفهوما اللفظة والعامل."[2]

[1] المرجع نفسه، ص15.

[2] عبد الرحمن الحاج صالح، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، د ط.الجزائر:2012، موفم للنشر،ج1، ص ص 217–218.

نتج عن مفهوم الاستقامة التمييز بين اللفظ والمعنى، وتحديد العلمين اللذين يدرسانهما فإذا كان الأول موضوعا للنحو فالثاني مؤهل ليكون موضوعا للبلاغة.

ونتج عن مفهوم الانفراد إظهار الحدود الحقيقية التي تحصل في الكلام فالمنطلق الواقعي في ذلك هو اللفظة بخلاف التوليديين الذين ينطلقون من الجملة. واللفظة يمكن أن تنفصل ويمكن أن يبتدأ بها وهذا ما يجعلها تتسم بصفة الانفراد وبذلك فهي الأصل وما يمتد منها هو الفرع والأوجب أن يتم الانطلاق من الأصل أو لنقل من أقل ما ينطق به مما ينفصل ويبتدأ. والشكل الذي يقترحه العلامة كفيل بتوضيح ذلك: [1]

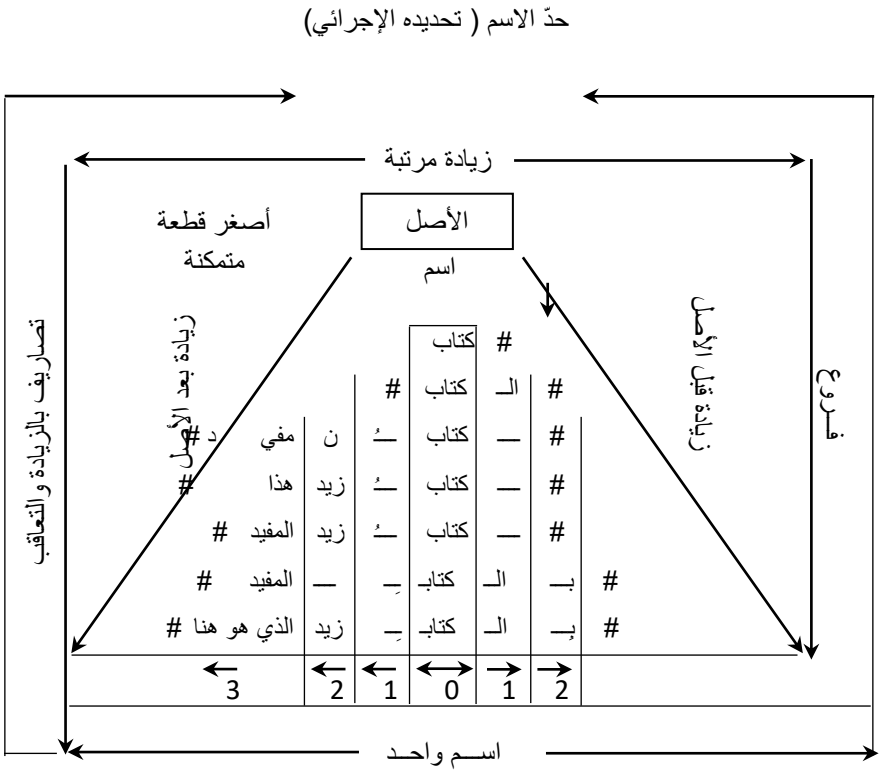

جدول يمثل الحدود الحقيقية للكلام انطلاقا من اللفظة

[1] المرجع نفسه، ج1،ص220.

ونتج عن تحديد مفهوم الوضع اختلاف النواة التي يمكن أن تكون اسمية أو فعلية، وحسب طبيعة النواة تتحدد مواضع العناصر اللغوية (الوحدات) وتتعين مواضعها.

و مفهوم العلامة العدمية نتج في حقيقة الأمر من مفهوم الوضع، فخلو الموضع من العناصر التفريعية التي تتفرع إليها النواة هو خلو من العلامة، وهو ما سماه بالعلامة العدمية(expression zero).

فعبارة : كان الجو باردا أو إنّ الجو بارد، تقابلها العبارة : 0 الجو بارد أو 0 الجو بارد؛ أي مكان العلامة اللغوية العاملة (كان أو إنّ) فارغ لا وجود فيه لأية علامة لغوية.

الوقوف عند معنى اللفظة أدى إلى تحديد معنى الكلمة فاللفظة أعم من الكلمة والكلمة جزء من اللفظة ومقياس تحديد مفهوم اللفظة عنده هو الانفصال والابتداء؛ فكل وحدة لغوية يمكن أن تنفصل عن غيرها وأن يبتدأ بها الكلام فهي لفظة نحو: آدم، محاضرة، جامعة.فهي ذات معنى سواء وظفت مع غيرها في الاستعمال أو انفصلت عنها. وبهذا فالكلمة هي العلامة اللغوية التي لا تخضع لهذين المقياسين (الابتداء والانفصال في آن) نحو: الضمائر المتصلة في قولنا: **جامعتنا**؛ فنون المتكلم التي هي ضمير متصل **كلمة** وليست لفظة باعتبار استحالة البدء بها والانفصال عن كلمة جامعة مع الإبقاء على دلالتها. والكلام نفسه ينطبق على حروف الجر وآل التعريف.

أما مفهوم العامل فيأخذ مكانه في التركيب وطبيعة البناء الناتج من الألفاظ المكونة له والعامل المؤثر في هذا البناء فلاحظ النحاة أن الزوائد على

اليمين تغير اللفظ والمعنى بل تؤثر وتتحكم في بقية التركيب كالحركات الإعرابية مثلا.بطريقة يبنها الشكل التالي:[1]

0	زيد	قائم
إنّ	زيدا	قائم
كان	زيدا	قائما
حسبت	زيدا	قائما
أعلمت عمرا	زيدا	قائما
1	2	3

يظهر الشكل أن العمود الأول قد يدخل عليه عامل (قد يكون كلمة أو لفظة أو تركيبا) يؤثر على بقية التركيب، وهذا ما أهله ليكون عاملا. وقد نتج عن هذا المفهوم مفهوم العامل 1(م1) والعامل2(م2)؛ إذ ما وجد في العمود الثاني تبين للنحاة استحالة تقدمه عن عامله ليكوّن مع عامله زوجا مرتبا (couple ordonné)، بخلاف المعمول الثاني الذي قد يتقدم على كل العناصر إلا في حالات، أما السطر الأول من الجدول فيظهر خلو موضع العامل من العنصر الملفوظ مقارنة بمواضع الأسطر اللاحقة.

هذا أهم ما يمكن قوله عن النظرية الخليلية الحديثة جسد بها عبد الرحمن الحاج صالح الموقف التراثي من الدرس اللغوي العربي ولا سيما النحوي منه ويرى فيه كفاءة علمية؛ تنظيرا يجب الإشادة بسبقها وتطبيقا يجب إحياءها وتوظيفها في ما يخدم اللغة العربية في العصر الحديث سواء على مستوى الحوسبة أم التعليم.

[1] عبد الرحمن الحاج صالح، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ج1،ص223.

النصوص التطبيقية

1- يستمد خطاب دي سوسير وجاهته من طرحه أعقد القضايا التي واجهت التفكير في اللسان البشري منذ بداياته، ومنها قضية تحديد موضوع اللسانيات، وحصره وبيان طبيعته، ومظاهره الأساسية.

المطلوب:

- ناقش القول محللا القضايا المطروحة فيه، مبينا علاقة اللسانيات بالمجالات المعرفية الأخرى.

2- لما كان اللسان البشري ذا خصائص متميزة، وطبيعة متفردة، وله مظاهر أساسية خاصة به، فهو يستوجب علوما مستقلة قائمة بذاتها مستمدة من طبيعته وبنيته الداخلية، والمؤثرات الخارجية؛ بالرغم من أن موضوعه اللسان البشري لذاته ومن أجل ذاته؛ أي دراسته في ذاته واستنباط قوانينه الداخلية بغية تفسير اشتغاله ووظائفه التي ينهض بها. لكن العلوم المستقلة كان لها الأثر البليغ في بروز تيارات فكرية في الحقل اللغوي وسعت الدراسة وطبيعتها،ونقلتها خارج مجال اللغة.

المطلوب :

حلل النص مبرزا أفكاره، مع الشرح والتعليل.

3- اتخذ جاكبسون من تحديد عناصر التواصل عملا إجرائيا وضروريا لبلوغ دراسة اللغة بكامل تنوع وظائفها، انتهى به المطاف إلى تصميم مسار التواصل الكلامي بعناصر جديدة.

المطلوب: أنشئ المسار التواصلي لجاكبسون مبينا عناصره ووظائفها مع التعليق.

4- إن الاستقلالية دعامة أساسية في علمية اللسانيات دون أن تحول أو أن تمنع من التشارك المعرفي بين اللسانيات والعلوم المتاخمة لها من قبل علم النفس وعلم الاجتماع والأنثربولوجيا. اللسانيات لا تتناقض مع العلوم الأخرى بل تتفاعل معها، ولا يمكن لها أن تتعارض معها في إثبات مفاهيم، بالرغم من كون أن للسانيات منهجا خاصا وموضوعا خاصا بها. فهي لا تستعير المناهج من العلوم الأخرى بل نجد لها وجهة نظر خاصة مادامت اللسانيات تدرس موضوعا فريدا يستوجب هذا قيامها كعلم مستقل وعلى منهج مستقل.

المطلوب : حلل النص وناقشه مبينا كيف أسهمت العلوم المتاخمة للسانيات من ظهور بعض المدارس اللسانية ذات الصلة.

5- تسعى النظريات الصورية (البنيوية) للغات الطبيعية إلى تفسير الخصائص الصورية للغة الطبيعية بمعزل عن وظيفتها التواصلية.

المطلوب: حلل القول وناقشه مبينا أوجه الاختلاف بين التيارين البنيوي والوظيفي في دراسة اللغة الطبيعية.

6- اهتمت البنيوية بالملكة اللغوية، في حين الوظيفية اهتمت بالملكة التواصلية.

المطلوب: تناول النص بالتحليل والنقد معتمدا المقارنة بين المدرستين اللسانيتين.

7 - يعد التركيب والصرف في النظريات البنيوية مستوى محوريا في النحو، أما الدلالة والوظائف التداولية فلا تقوم إلا بدور تأويلي، في حين النظريات الوظيفية ترى أن المستوى التداولي الدلالي يحتل داخل النحو مستوى مركزيا؛ من باب أن الفكرة أسبق من اللغة، حيث يتولى تحديد خصائص التركيب.

المطلوب:

- اشرح القول وناقش أفكاره.

8- على الرغم من الصرامة التي اتصفت بها البنيوية إلا أنها أهدرت الجانب الدلالي التداولي.

حلل النص وفصل في ما يشير إليه من تيارات لسانية قائمة بذاتها من حيث الأصول والقواعد.

9- يعتبر التّيار الاجتماعي اللّغة ظاهرة اجتماعيّة لأنّها تدرس اللّغة في علاقتها بالمجتمع، واكتسابها لا يمكن تصوّره خارج سياقات اجتماعيّة نمت وترعرعت فيها،

بل هي الّتي أوجدتها، لأنّها تشكّل قواعد اجتماعيّة ضابطة للسّلوك اللّغويّ. فتحوّل المنطلق إلى التّركيز على النّشاط الخطابي باعتباره ممارسة فعليّة للّغة في إطارها الاجتماعي، وباعتباره كذلك فهو حقل يُذْكَى فيه التّفاعل الاجتماعي، بتبادل العلاقات الاجتماعيّة الفعّالة وهي فرصة لإظهار العلاقة بين اللّغة وثقافة المجتمعات، وكلّ هذا مدعاة لتعليم اللّغة وفق ثقافة المجتمع وعاداته، وتقاليده، تفعيلا لموروثه الثّقافي وإبرازا لهويّته المتميّزة.(مالينوفسكي+ فيرث+ فرانس بواز+ سابير + قوفمان + صوفي موارن + هايمز...)

المطلوب:حلل النص محدد معالم المدرسة اللسانية التي يشير إليها النص. ومجهودات أعلامها.

10 – قال ميلود حبيبي في كتابه الاتصال التربوي وتدريس الأدب:

((إذا كانت اللسانيات الصورية قد جعلت موضوع اشتغالها دراسة العلامات اللغوية، فإن النحو التوليدي التحويلي اهتم بدراسة الجمل، معتبرا أنّ نحو لغة ما هو

مجموعة من القواعد المعبرة عن التقابلات الحاصلة بين الأصوات والدلالة الخاصة بهذه اللغة وأن التوليد معناه القدرة على استيضاح هذه العلاقات.)) ص58

المطلوب: حلل القول وقارن بين المدرستين اللسانيتين.

11- قالت صوفي مواران: ((المعرفة والقدرة على تفعيل قواعد النظام تظهر متكئة بلا هوادة على الأنظمة النفسية والاجتماعية، والثقافية للتواصل))

Sophie moirand, enseigner a communiquer en langue étrangère, s éd.Paris:1982, Hachette, p17.

المطلوب: حلل القول وناقشه مفصلا في ملامح المدارس اللسانية ذات الصلة في تحقيق التواصل.

12- تبنى فيرث نظرية سياق الموقف، وهي بالنسبة له حقل خصب من العلاقات، يفعلها أشخاص ويثرونها عند قيامهم بالأدوار المسندة إليهم في المجتمع.

المطلوب: حلل القول مبينا المدرسة التي ينتمي إليها فيرث محددا مميزاتها مع الشرح والتحليل.

13- التّلفّظ هو الأساس الّذي بنى عليه (ج.ل.أوستين **J. L. Austin**) نظريّة الأفعال اللّغويّة ومن بعده (ج.ر.سيرل **J. R. Searl**) بوصفه ممارسة المرسل لينجز فعلا لغويا يتلاءم مع السِّياق، هذا الامتداد في الدّراسة تجسّد في تناول التّلفّظ في خضم ما يحيط به من أغراض ومقاصد.

– المطلوب: حلل النص مبينا المدرسة التي يتحدث عنها، ملخصا الأساسيات التي أتت بها.

14- ((فالفعل الذي هو من أهم أركان الكلام يدل على الحدث، وكل حدث يحصـــل بالضرورة في زمان معين ومكان معين. وأما الكلام كاسم مصدر لفعل تكلّم فهو حدث.

فلا بدّ أن يكون لـــه زمان ومكان معينان. وبهذا يفــترق الكـلام كفـعل وكحـدث عن الجهاز الذي يستعمله المتكلم وهو اللغة؛ إذ هو أداة لتـبليغ الأغراض، وبما أنها نظام من الأدلة المتواضـــع عليها لا تـــراد لذاتها، بل للانتـفاع بها كأداة تبليغ. فهي كيان مجرد لعموم استعمالها ولعدم اختصـاص كل عنصر فيها؛ كأسماء الأجناس والأفعال وحروف المعاني، فهي صالحة للاسـتعمال في كل مناسبة وفي أي وقت، ولا يختص استعمالــها بكلام قد يتكلم به أو سيتكـلم به شــخص معين في ظروف معينة. فالكلام حدث والأحداث هي أشياء جزئـــية لأنها تدرك بحــاسة السمع كأصـوات فلكل حدث خصوصية. أما اللغة فهي من الكليات لأنـــها غير مـــدركة بالسمع كوضع كما أنها ليست حدثا، بل هي أداة مهيأة للاستعمال في كل الأوقات وكل الظروف)).

عبد الرحمان الحاج صالح

الخطاب والتخاطب في نظرية الوضع والاستعمال.

العربية. ص43

اشرح النص مبينا قضاياه اللغوية، موضحا الأهميّة التي نالتها عند اللسانيين فكانت

موضوع دراسة.

خاتمة

خاتمة:

من خلال ما تقدم من عمل خلصت إلى النتائج التالية:

– محاضرات دي سوسير كان لها بالغ الأثر في ما جاء بعده من طرح وأفكار لسانية.

– تعدد المدارس سببه تعدد المرجعيات المعرفية لأصحابها.

– كل مدرسة إلا وتتميز عن غيرها من المدارس سواء في المنابع والأصول المعرفية أو في القواعد المائزة.

– بدأ الدرس اللساني الغربي الاهتمام باللغة في ذاتها ولذاتها، لكن إلماما بما له علاقة بتوظيف اللغة امتد الاهتمام إلى دراسة ما هو خارج اللغة لكن مؤثر فاعل في توظيفها.

– بالرغم من اختلاف المدارس في قواعدها المائزة إلا أنها لو اجتمعت لدراسة اللغة لتكاملت في ما بينها تكاملا وظيفيا.

– كان للدرس اللساني الغربي تأثير ظاهر في الدرس اللغوي العربي الحديث.

– أسهمت المدارس اللسانية الغربية في ظهور لسانيين عرب باختلاف مشاربهم العلمية، ومرجعياتهم المعرفية.

الله أسأل التوفيق في الدنيا والآخرة.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع:

1- المراجع باللغة العربية:

- أحمد حساني، مباحث في اللسانيات، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر: 1994.

– أحمد المتوكل، اللسانيات الوظيفية، مدخل نظري، ط2. لبنان : 2010، دار الكتاب الجديد المتحدة.
– أحمد مومن،اللّسانيات النّشأة والتّطور، دط. الجزائر:2002، ديوان المطبوعات الجامعية.
– أندري مارتيني، مبادئ في اللسانيات العامة، تر: أحمد الحمو، د ط. دمشق: 1985، المطبعة الجديدة .
– آن روبول و جاك موشلار ، التداولية اليوم ،تر/ سيف الدين دغفوس ومحمد الشيباني، ط1 .لبنان: 2003، دار الطليعة.
– حفيظة تازروتي، اكتساب اللغة العربية عند الطفل الجزائري، دط. الجزائر: 2003م، دار القصبة للنشر.
– جاكسون وآخرون، التواصل، نظريات ومقاربات، تر: عز الدين الخطابي وزهور شوقي، د ط. الدار البيضاء: 2007، منشورات عالم التربية.
– جميل صليبة، علم النفس. بيروت: دار الكتاب اللبناني، ط3، 1981.
– جون إي جوزيف وآخرون، أعلام الفكر اللغوي، التقليد الغربي في القرن العشرين، تر: أحمد شاكر الكلابي، ط1. بيروت: 2006، دار الكتاب الجديد المتحدة، ج2.
– رومان جاكبسون،قضايا الشعرية، تر: محمد الولي ومبارك، ط1، المغرب:1988، مكتبة الأدب المغربي.
– شرف الدّين الرّاجحي وسامي عياد حنا، مبادئ علم اللّسانيات الحديث، د ط. القاهرة: 2003م ، دار المعرفة الجامعيّة.
– شكري المبخوث ، نظرية الأعمال اللغوية، ط1. تونس : 2008، مسكلياني للنشر والتوزيع.
– صالح بلعيد، دروس في اللّسانيات التطبيقية. الجزائر:2000 دار هومة للطباعة

والنشر والتوزيع،

- ـــــــــــــ، مقالات لغوية، دط. الجزائر:2004، دار هومة.

- ـــــــــــــ، نظرية النظم، دط. الجزائر: دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، 2002.

- طالب هاشم طبطبائي نظرية الأفعال الكلامية مجلة عالم الفكر المعاصر،ع98 - 99 ، 1992 ..

- الطاهر بن الحسين بومزبر، التواصل اللساني والشعرية، مقاربة تحليلية لنظرية رومان جاكبسون، ط1. الجزائر:2007، منشورات الاختلاف.

- عبد الرحمن الحاج صالح((المدرسة الخليلية الحديثة والدراسات اللسانية الحالية في العالم العربي))، أعمال الندوة الجهوية التي عقدت بالرباط سنة1987: تقدم اللسانيات في الأقطار العربية، منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة (يونسكو) ط1. بيروت:1991، دار الغرب الإسلامي.

- عبد الرحمن الحاج صالح، النظرية الخليلية الحديثة: مفاهيمها الأساسية ، د ط . الجزائر: 2007، مركز البحث العلمي والتقني لتطوير اللغة العربية.

- عبد الرحمن الحاج صالح، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، د ط.الجزائر:2012، موفم للنشر،ج1.

- عبد السلام المسدي، الأسلوبية والأسلوب، ط2. تونس: 1982، الدار العربية للكتاب.

-ـــــــــــــ،اللّسانيات وأسسها المعرفيّة، د ط. تونس: 1986م، الدّار التّونسيّة للنّشر.

- عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتجيات الخطاب ،ط1. لبنان: 2004 ، دار الكتاب الجديد المتحدة، ج1.

- عبدو الراجحي، اللغة وعلوم المجتمع، ط2. لبنان: 2004 دار النهضة العربية.

- عمر بلخير ، تحليل الخطاب المسرحي في ضوء النظرية التداولية، ط1. الجزائر : 2003 منشورات الاختلاف.

– عبد اللطيف الفاربي وآخرين، معجم علوم التربية،مصطلحات البيداغوجيا والديداكتيك، ط1. الرباط: 1994، دار الخطابي للطباعة والنشر، ع 9–10.

– فرديناند دي سوسير، دروس في اللسانيات العامة/ تر: صالح القرمدي و آخرون، د ط. تونس:1985 الدار العربية للكتاب.

– فرانسواز أرمنكو، المقاربة التداولية، تر: سعيد علوش، د ط. الرباط: 1986، مركز الإنماء القومي.

– ك. أركيوني، فعل القول من الذاتية في اللغة، تر:محمد نظيف،د ط. المغرب: 2007 إفريقيا الشرق.

– محمد الشاوش وآخرون، أهم المدارس اللّسانية،دط. تونس:1986، المعهد القومي لعلوم التربية، وزارة التربية القومية.

– مازن الوعر، قضايا أساسية في علم اللّسان الحديث، مدخل، ط1. دمشق:1988، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر.

– مازن الواعر، ((النظريات النحوية والدلالية في اللّسانيات التحويلية والتوليدية))، مجلة اللّسانيات، عدد 6 الجزائر، 1986.

– ميلود حبيبي، الاتصال التربوي و تدريس الأدب، ط1.الغرب: 1993 المركز الثقافي العربي.

– نور الدين رايص، نظرية التواصل واللسانيات الحديثة، ط1. الرباط: 2007، مطبعة سايس.

– نور الهدى لوشن، مباحث علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، دط. الشارقة: 2008، الفتح للتجليد الفني.

- هدسون، علم اللغة الاجتماعي، تر: محمد عياد، ط 2. مصر: 1990 ، عالم الكتب.

2- المراجع باللغة الأجنبية:

- André Martinet, Elément de l'inguistique générale paris.armand colin,1978.
- A.MARTINET,élémentde linguistique générale,Armand colin, paris,1970.
- ANRICO ARCAINI, principes de linguistique appliquée, bibliothèque scientifique, paris,1972.
- BAYLON CHRISTIAN . XAVIERMIGNOT1999 la communication. Nathan. paris.2édi.
- Christian Bachmann, et autres, Langage et communications sociales, s éd. Paris : 1991 Hatier/Didier.
- DJILALI dallache introduction a la pragmatique linguistique Algerie O.P.U 1993.
- DUCROT ET TODOROV,dictionnaire encyclopédique des sciences du langage, ed du seuil, paris,1972.
- Edward Sapir, le langage, traduction de l'anglais par : S. M. Guillaumin, Paris, ed, payot et Rivages 2001.
des sciences du langage, ed du seuil, paris,1972.

- Emile Benveniste, Problèmes de linguistique générale, s éd. Paris : 1974, Gallimard.
- Ferdinand de Saussure, Cours de linguistique générale,

édition critique préparé par: T. De Moro. Paris: 1979. Payot.

- Francis Whitfield, ((glossematics)) In Archibald Hill (ed) Linguistics, Voice of America Forum Lectures, 1969.
- J.L. AUSTIN quand dire c'est faire trad et introduction de G.LANE ed seuil paris 1970.
- J.R.SEARL sens et expression étude de théorie des actes de language trad.et préface par JOELL PROUST ed Minuit paris 1982.
- Jean Lohisse, la Communication de la transmission a la relation, Belgique, De Bock Université 1ed, 2001.
- Jeans Dubois et autres, Dictionnaire de linguistique, s éd. Paris: 2002, Larousse.
- Georges Mounin, clefs pour la linguistique, 17eme éd. Paris : 1971, Seghers.
- Georges Mounin, Histoire de la linguistique des origines aux XX eme siècle, s.éd. Paris: 1985, P.V.F.
- M.L. Moreau ; et M.Richelle, l'acquisition du langage 2 ème ed. piere Mardaga, editeur bruscelles-lieges 1981.
- Roman Jaksbon, Essais de linguistique générale, tra Nicolat Ruet les èditions de minuit, paris, 1963.
- Tsutumu Akamatsu et al, The linguistics encyclopedia,

2nd éd. New York: 2004 Routledge.

فهرس المحتويات

مقدمة:.....**2**

المحاضرة الأولى.....**4**

المحاضرة الثانية..... 13
المحاضرة الثالثة..... 27
المحاضرة الرابعة و الخامسة..... 37
المحاضرة السادسة..... 46
المحاضرة السابعة..... 50
المحاضرة الثامنة..... 57
المحاضرة التاسعة..... 61
المحاضرة العاشرة والحادية عشر..... 65
المحاضرة الثانية عشر..... 71
المحاضرة الثالثة عشر..... 82
المحاضرة الرابعة عشر..... 90
النصوص التطبيقية..... 100
الخاتمة..... 116
قائمة المصادر والمراجع..... 118
فهرس المحتويات..... 125